وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآدب واللغة العربية

عنوان المذكرة

التشاكل والتباين في ديوان قصائد متوحشة لنزار قباني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص آدب حديث ومعاصر

الطالبة:

– آسيا بن عيش

إشراف الأستاذة:

– نبيلة تاوريريت

السنة الجامعية: 1436 هـ /1437 هـ

2015 م / 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

صدق الله العظيم.

شكر و تقدير

قال الله تعالى: « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ». إبراهيم الآية (7)

فالحمد والشكر لله الذي أعطى ما منع

وبعد:

فأشكر كل من علمني حرفا وجعلني أعشق لغة القرآن.

وأتقدم بعظيم الشكر إلى أستاذتي الفاضلة " نبيلة تاوريريت " التي رافقتني في عملي هذا خير رفقة.

ومن خلال شخصها الطيب أنحني اعترافا بالجميل.

شكر خالص لأعضاء اللجنة المناقشة على عناء القراءة وجهد الإثراء.

كما أشكر كل من مدلي يد العون في سبيل إنجاز هذا البحث ولو بالكلمة الطيبة.

لكل هؤلاء أقول شكرا.

الإهــداء :

" إذا كثرت الأحبة عجزت الكلمة "

إلى علة وجودي وسبب كياني " أبي العزيز "

إلى النبع الصافي " أمي الغالية "

إلى كل " عائلتي " و " أقاربي "

كشف الشعر العربي المعاصر عن رؤية شعرية وتقنيات فنية جديدة وهذا النضج الفني تناولته اتجاهات نقدية حداثية من بينها الاتجاه السيميائي، الذي برز بعد التراجع الكبير الذي عرفته البنيوية ، فعادت السيميائية لتحتل الصدارة في مجال الدراسات النقدية، لكنها ظهرت هذه المرة في ثوب جديد، حيث اعتمدت بوصفها منهجاً من المناهج النصانية التي رافقت النص الشعري خاصة في عملية التحليل والتفكيك وهذا وفق أسس إجرائية ابتغاء الكشف عن المستوى العميق الذي يهتم بدراسة التشاكل واستقرار القيم الدلالية والسيميولوجية، فقد تتشاكل أو تتباين العلامات المحيطة بنا، وتشير إلى وظيفة ما قد نعلمها أو لا نعلمها.

ومن بين المفاهيم السيميائية التي تمثل أهم أدوات المقاربة السيميائية والإجرائية النقدية (التشاكل والتباين)، فالتشاكل مصطلح سيميائي استعير من الميدان العلمي إلى ميدان تحليل الخطاب، بينما التباين فهو اللاتشاكل أو التناقص أو التضاد ومن هذه النظرة انبعثت فكرة البحث ، وتبلورت في " التشاكل والتباين في ديوان قصائد متوحشة لنزار قباني "

ويعود اختيارنا لهذا البحث لأسباب عديدة منها :

- كون مصطلح التشاكل والتباين حظي بأبحاث ودراسات متعددة وكان لكل فريق تفسيره الذي تمليه عليه رؤيته ، إلا أن هذه البحوث والدراسات تلتقي في المقاصد إلى شبه إجماع في تصورها لمفهوم هذين المصطلحين .
- قلة الدراسات التي تعرضت لشعر " نزار قباني " خاصة في ديوانه قصائد متوحشة.
- وصف عناصر الإبداع في الخطاب الشعري لدى " نزار قباني " من خلال ديوانه قصائد متوحشة الذي يعتبر من أجمل الدواوين الشعرية له ، حيث يصف حبا يريده ألا يكون طبيعياً وأن يكون فوق تصور الخيال ، يريد فيه حب امرأة بأقصى درجات العنف.

وقد كان هذا البحث حقلاً ذا كمون عال من المفاهيم الغامضة والدلالات الفيضية، وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة عن أهم التساؤلات أهمها :

ما مفهوم التشاكل والتباين ؟ وكيف استغلها الشاعر ليبني معماراً فنياً غاية في الإبداع ؟

- ما مدى حضور التشاكل والتباين في ديوان قصائد متوحشة ؟
- ما هي تمظهرات التباين وأبعاده السيميائية في هذا الديوان ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، وحتى نتمكن من الدراسة المنظمة للموضوع، ارتأينا أن تكون خطة البحث كالآتي:

أساسها مقدمة وفصلين وخاتمة حاولنا أن نجمل فيها خلاصة ما توصلنا إليه.

فكان الفصل الأول موسوم بـ التشاكل والتباين من المصطلح إلى إبراز المفاهيم، الذي تضمن الجانب النظري وقد حاولنا فيه تقصي مفهوم التشاكل من حيث التأصيل المعجمي والتعريف الاصطلاحي، وتحديده في الدراسات سواء الغربية والعربية وقسمناه إلى أنواع تراوحت ما بين التشاكل التعبيري والتشاكل المعنوي والتشاكل الإيقاعي. ومن ثم حددنا ماهية التباين من الناحية اللغوية والاصطلاحية عند الغربيين والعرب ثم تطرقنا إلى تجلياته.

أما الفصل الثاني الموسوماً بـ "حضور التشاكل والتباين في ديوان قصائد متوحشة لنزار قباني". الذي تضمن الجانب التطبيقي فقد تجلت جمالياته من خلال المستويات الآتية :

التشاكل الصوتي ، تشاكل الكلمة ، تشاكل المقطع ، تشاكل البدايات ، تشاكل الخواتيم ، التي من خلالها تجسدت الدلالات التي يهدف الشاعر إلى إيصالها للمتلقي من خلال المستوى الشكلي والمضموني والإيقاعي.

وحتى تكون هذه الخطة ناجحة ارتأينا أن نختار لبحثنا منهجاً نستعين به ونعتمد عليه في المجال النظري والتطبيقي، فقد استعنا بين المنهج الوصفي التحليلي، لأن الدراسة تطلبت ذلك، فكان المنهج السيميائي لأنه يناسب سياق هذا البحث بصفته من المناهج التي تستطيع فك الكثير من الرموز في النص الشعري، بغية الكشف عن تجليات التشاكل والتباين في هذا الديوان الذي نحن بصدد دراسته.

– وقد اعتمدنا في هذا البحث على عدة مراجع نذكر منها:

تحليل الخطاب الشعري "إستراتيجية التناص" لمحمد مفتاح، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية لعبد الملك مرتاض ، معجم السيميائيات لفيصل الأحمر، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب.

هذا و لا يخلو أي بحث من الصعوبات والعراقيل من أبرزها :

– قلة المراجع التي تناولت ديوان " قصائد متوحشة " فقد كانت أغلبها يتكلم عن القصيدة المتوحشة، قارئة الفنجان، اختاري.

– غموض بعض قصائد الديوان، بالإضافة إلى بعض الألفاظ و العبارات الموظفة مما تطلب بذل المزيد من الجهد لتذليل هذه الصعوبات .

– وإن كنا نقرأ كتابا كاملا لنعثر في النهاية على إشارة بسيطة لعنصر من عناصر هذا البحث " التباين " وفي البعض الآخر لا نعثر في النهاية على شيء.

ومهما يكن فقد تمكنا من إنجاز هذا البحث بفضل المساعدات العلمية والمعنوية التي قدمتها لنا الأستاذة المشرفة، التي حاولنا بفضلها التحكم في زمام البحث.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر للأستاذة المشرفة نبيلة تاوريريت، بعد الله عز وجل ، على ما خصتنا به من اهتمام ومتابعة كل جزئيات البحث ، كما لا يفوتنا أن نشكر كل من قدم لنا يد المساعدة وأسهم في هذا البحث من قريب أو من بعيد.

ونعتذر عن كل خطأ أو سهو صدر منا فإن أصبنا فبتوفيق من الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والله من وراء القصد.

الفصل الأول:

التشاكل والتباين من المصطلح

إلى إبراز المفاهيم

أولا: مفهوم التشاكل

أ- لغة

ب-اصطلاحاً

1 أنواع التشاكل:

1-1 التشاكل التعبيري

1-2 التشاكل المعنوي

1-3 التشاكل الإيقاعي

ثانيا: مفهوم التباين

1-لغة

2-اصطلاحاً

3-تجليات التباين

يرمي هذا الفصل إلى محاولة تحديد أساس هذا الموضوع والمتمثل في وجود تداخل بين مصطلحين سيميائيين، استعيرا من حقله الأم الكيميائية، إلى حقل النقد الأدبي على يد " غريماس " gremas ألا وهما " التشاكل والتباين "، فقد يأتي أحدهما بدلالة تقارب الثاني، ولكل مصطلح مقامه الخاص به تفرقه عن غيره استعمالات معينة، فكان لا بد من هذه الدراسة من أجل الفصل فيها، ومعرفة الحالات والتحولات التي تستوجب هذا المصطلح دون غيره، لذا ارتأينا توضيحها ليتسنى لنا التفريق بين مختلف المفاهيم التي يحملها هذين المصطلحين.

أولا: مفهوم التشاكل:

يعد التشاكل من المصطلحات السيميائية التي شكلت ركيزة أساسية، في الدراسات الأدبية عند الغرب أو العرب، ولذلك لا بد من الوقوف عند ماهيته اللغوية والاصطلاحية.

1. الحد اللغوي للتشاكل:

أ- لغة :

لا تختلف المعاجم العربية في مجملها على ما أسند للفظة " التشاكل " من معنى، ويعد " لسان العرب لابن منظور " أكثر هذه المعاجم عرضا وتفصيلا لهذا المصطلح، إذ أن أغلب المعاجم العربية القديمة منها والحديثة وحتى القواميس تستند إليه في تعريفها له، وقد حاولنا أن نقدم أهم التصورات والمقاربات المتعلقة بهذا المصطلح، التي أفادتنا بها هذه المعاجم، وفي مقدمتها ما أشار إليه ابن منظور بقوله في باب مادة شكل « الشكل بالفتح: الشبه والمثل والجمع أشكال وشكول [....] وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه، شكله أي من مِثْل والشَّكْل: المِثْل ونقول هذا على شكل هذا أي على مثاله، والمشاكلة: الموافقة والتشاكل مثله»[1] . إذا كان ابن منظور يشير في قوله أن

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان، المجلد7، 1863، ص 119.

التشاكل يحمل معنى التشابه والمماثلة فإن " القزويني " حدد التشاكل بقوله: «ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا وتقديرا» [1] . فالتشاكل عنده يقوم على قسمين:

ما كان وقوع المعني في صحبة غيره وقوعا محققا (تكون المصاحبة في اللفظ) وما كان وقوع المعني في صحبة غيره وقوعا تقديريا (لا تكون المصاحبة في اللفظ).

أما "الفيروز أبادي" فقد أورد على التشاكل مصطلح: «المشاكلة: الموافقة كالتشاكل وفيه أشكله من أبيه وشكلت، بالضم، وشاكل، أي شبه وهذا أشكل به أي أشبه»[2] .

في حين نجد "إبراهيم مصطفى" يعرفه بقوله هو التشابه والتماثل، يقال شاكله أي شابهه وماثله والمشاكلة هي المماثلة [3]

من هذه الحدود اللغوية نستنتج أن مصطلح التشاكل في معناه اللغوي يقصد به الموافقة والمماثلة والمصاحبة.

أعطت المعاجم الحديثة هي الأخرى مفهوما " للتشاكل " غير المعاجم القديمة كونها وقفت على دلالته وإيحاءاته، وكشفت عن سماته اللغوية لذا سنحاول الإحاطة بهذا المصطلح لبعض منها، حيث يذكر " ابن فارس" في مقاييسه في باب (ش ك ل) «شكل: الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة، وتقول هذا شكل هذا، أي مثله [...] كما يقال مشتبه، أي هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا، ثم يحمل على ذلك فيقال:

---

[1] القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د ط، 2000، ص 296.

[2] الفيروز أبادي: قاموس المحيط: تحقيق: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 1019.

[3] ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ج 1، ص 491.

شكلت الدابة بشاكله، وذلك أن يجمع بين إحدى قوائمه: ومن الشكلة، وهي حمرة يخالطها بياض»[1].

كما ورد عند "مسعود جبران" أنه: « شَاكَل مشاكلة، (ش، ك، ل): ماثله وشابهه: أوقعه في الأمر الملتبس »[2] .

أما في تصور "المعجم العربي (لاروس)" فهو لا يختلف عن المعاجم الأخرى، ومقصدنا هنا أن التشاكل من «(ش ك ل). شكل: يشكل شكلا فهو شاكل. الكتاب: ضبطه بالشكل، شكل يشكل شكلا وشكلة أشكل [...] شكل: يشكل تشكيلا [...]، تشَاكَل: يتشَاكلُ تشَاكُلً: الشيئان: تشابها وتماثلا »[3]. ويندرج تحت جل هذه المعاجم ما لا ينحصر من المفاهيم اللغوية التي فزعت إليها المعاجم الحديثة، على أن كلمة " التشاكل " مشتقة لغة من الفعل الثلاثي (ش ك ت) والذي انبنى على أساس التماثل والتشابه، هذا ما وجدناه عند كل من أحمد بن فارس ومسعود جبران والمعجم العربي لاروس.

في حين نجد "سعيد علوش" يحدده بقوله هو " وحدة انسجاميه، تنزع إليها عناصر الخطاب، و (التشاكلية) هي الهوية الشكلية لبنيتين أو أكثر وهذه البنية يتعرف عليها من خلال التماثل" [4] . يقصد من هذا التعريف (للتشاكل) أن " سعيد علوش " لامس الجانب الشكلي من الخطاب وركز على المضمون، بغية انسجام الخطاب.

هذا ويرى "محمد القاضي" أن التشاكل هو شرط لانسجام النص، ولإقامة المعنى حتى داخل النص أو أحد أجزائه، والتشاكل عنده يقوم على إدراك الظواهر الأسلوبية من

---

[1] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، مج3، 1979، ص 395.

[2] مسعود جبران: الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 7، 1992، ص 462.

[3] إبراهيم السامراني وآخرون، المعجم العربي الأساس (لاروس)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، د ط، 1989، ص 698.

[4] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية والمعاصرة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2010، ص 236.

قبيل الجناس (calembour) أو التورية (ambivalence) وهي ظواهر يحللها غريماس من حيث هي تجسيد لتقاطع التشاكلات أو تعددها [1].

نلاحظ أن التشاكل قد اجتمع على معنيين أحدهما بلاغي باختياره للفظة الجناس والتورية، والآخر غريماس، ليطلعنا في الأخير بنتيجة مفادها أن التشاكل هو شرط لانسجام النص، والنص هو شرط لإقامة المعنى حتى داخل النص أو أحد أجزائه.

هذا ويذهب " فيصل الأحمر" إلى أن تراثنا النقدي والبلاغي القديم لامس كل شيء دون أن يصل إلى جوهر مدى التشابه الكبيرين للمفهوم العربي والغربي وضرب لنا خير مثال عمر بن مسعود المنذري " قال: أعلم أن الأشياء المتشاكلة في الكيفيتين أعني الفاعلة والمنفعلة (هي أقوى أنواع المشاكلة) وثانيتها أن تكون متشاكلة بين فاعلتين، وثالثهما تكون في منفعلتين[2] .

والمتأمل لهذا التعريف يجد فيه أن تراثنا اللغوي قد نظر نظرة فاحصة تؤمن بأن مفهوم التشاكل، يقوم على التقابل والتشاكل في عالم المحسوسات والماديات، وهذه الأخيرة تعد إضافة في سيمياء التشاكل، ولعل هذا يدل على ثراء ما خلفه الأسلاف.

وقد عضد معجم " المصطلحات البلاغية " هو الآخر إلى تعريف التشاكل وشمل زوايا مختلفة حيث قيل فيه أن «أبا علي الفارسي كان أول من أطلق على هذا النوع اسم المشاكلة وقد تحدث الفراء عن هذا النوع ولكنه لم يسميه» [3] . وخير مثال عن هذا استدلاله ببعض آيات القرآن الكريم لقوله عز وجل:{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}[4] يوجد في الآيتين الكريمتين تباين

---

[1] ينظر: محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار العين للنشر، ط 1، 2010، ص 91.

[2] ينظر: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم ناشرون، العاصمة، ط 1، 2010، ص 236.

[3] أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 2، 2000، ص 621-622.

[4] البقرة / الآية 193.

وتضارب، في لفظة العدوان ففي الآية الأولى تدل على الظلم ولكن في الآية الثانية تدل على القصاص وهو محلل شرعا.

هذا ويضيف " التبريزي " تعريفا آخر للمشاكلة قائلا: «أن يجمع الشاعر في البيت كلمتين متجاورتين أو غير متجاورتين شكلهما واحد ومعنياهما مختلفان »[1] . فالتشاكل عنده يكمن في تشابه الكلمتين لفظا مع اختلاف في المعنى (الجناس) وهو من المحسنات اللفظية والمشاكلة قد تجامع هذا اللون.

ثم يصل "أحمد مطلوب" على أن المشاكلة هي « مشاكلة اللفظ للمعنى من أبواب عمود الشعر التي حددها القدماء، وقال المرزوقي: وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدُّرْكَةِ ودوام المدارسة» [2] قام "المرزوقي"في تعريفه هذا بإعطائنا المعايير التي تقوم عليها المشاكلة، فهي تكمن في اللفظ الجزل والمعنى معا، أي أن هذه المعايير هي الركيزة الأساسية التي تبناها القدماء واعتبروها معيارا لهم في فهم اللفظة ومعناها.

وخلاصة قولنا هنا أن المعاجم القديمة هي امتداد للمعاجم الحديثة في تعريفها "للتشاكل" وإنها ارتبطت به كترابط اللاحق بالسابق، فهو جزء لا يتجزأ منها غير أن "الزمخشري" عمد إلى مزج معظم التعاريف السابقة يمكن أن ندرجها في قوله:«هذا شكله أي مثله، وقلت أشكاله وهذه الأشياء أشكال وشكول وهذا من شكل ذاك: من جنسه وآخر من شكله أزواج وليس شكله شكلي: وهو لا يشاكله، ولا يتشاكلان، وأشكل المريض وشكل وتشكل. كما تقول: تماثل، وأشكل النخل: طاب بسره وحلا وأشبه أن يصير رطب منه [...] وفيها شكلة وهي حمرة في بياضها ولى قبلك أشكلة وشكلاء: حاجة » [3] . ومن هذا يتضح لنا أن لفظة المشاكلة تنصرف إلى الظاهرة التي يراعي فيها توافق أو تشابه أو تماثل شيئين كانا صوتين أو لفظين أو لفظ ومعنى أو غير ذلك.

---

[1] التبريزي نقلاً أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 622.

[2] المرجع نفسه، ص 223.

[3] الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج 2، 1923، ص 554.

وقد اقترح "معجم اللسانيات" على أنه " التشاكل" « وحدة دلالية تتسم بسمات خاصة فتفضي إلى اعتبار خطاب ما على أنه كل من المعني signification ويمكن أن توجد جملة التشاكلات في خطاب واحد » [1] .

يتحدد معنى التشاكل على أنه يكون في خطاب واحد أو في خطابات متعددة، وهذه الخطابات تكون مناسبة للمعنى الذي وضعت فيه وللمقام المناسب.

وفي معجم "مختار الصحاح" تعني المشاكلة الموافقة غير أن هذه الموافقة لم يحدد مجالها ولا طريقة استعمالها، بل كان ورودها عاما لم يفارق الدلالات المعجمية[2] .

وقد سعى "الجبائي" في كتابه: "الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة" أن يورد مترادفات عديدة للمشاكلة مما يدل على تنوعه في اختيار الألفاظ المناسبة لها، فالمشاكلة عنده إذن هي « شكله وقرينه، ومثله ونظيره وشبهه وجدته وتربه وضوه وكفؤه وعدليه وضريبه»[3] .

فلفظة التشاكل تقوم على تنوع المعنى، الذي في لفظته يختلف لكن في معناه يؤتلف.

هذا ويذهب "الخطاب" إلى أن مصطلح المشاكلة هي:« قرينة الملائمة هو كرأس في جسد أو كف في ذراع أو نحوهما في الكلام »[4] . المشاكلة عنده هي أن يستعير المتكلم، لفظة لا يصح إطلاقها على المستعار له إلا مجاز، وإنما يستعي له هذه اللفظة لوقوعها في سياق ما يصح له، وهذا يظهر جليا في إطلاقه للفظته المشاكلة على أنها قرينة الملائمة والموافقة.

---

[1] نسرين بن الشيخ، عبد الملك مرتاض: مصطلح التشاكل من خلال كتابيه: شعرية القصيدة " قصيدة القراءة "، نظام الخطاب القرآني، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، مجلة مقاليد، ع 5، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ديسمبر 2013، ص 22.

[2] ينظر: الرازي عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ج 1، 1995، ص 145.

[3] عبد الملك الجبائي: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفةwww.al.mostafa.com، 03/01/2016، 13:02، ص 13.

[4] الخطابي البستي: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، ج 1، 1982، ص 287.

بينما تناولها "ابن أبي الأصبع" من باب آخر وهو « باب التعطف: المشاكلة وهو أن التعطف كالترديد في إعادة اللفظة بعينها في البيت» [1] .

فالمشاكلة هنا تقوم على الربط والتتبع بينها وبين المتبوع بها أي بين لفظة ولفظة أخرى.

هذه إذن جولة معجمية تضمنت إشارات عميقة لمصطلح التشاكل، إذ أن الرجوع إليها يعد عتبة يلج من خلالها القارئ قصد الفهم المبهم والغامض من المصطلحات وبالتالي هي عماد مكتبة كل باحث ومبتغي كل قاصد، فكانت بدايات الحفر في المعاجم القديمة والحديثة، لكن في الحقيقة لا تكفي هذه الجولة إذ ارتأينا أن نقوم بالتماسه من حده الاصطلاحي.

ب- اصطلاحاً :

إن لكل مصطلح من المصطلحات خلفيات معرفية، جرى بالبحاث العودة إليها، لإكتناه أبعاده الدلالية، والتزود على ضوئها، بما يساعده على فك حمولته الفكرية ومراودته عبرها، لذلك رأينا، أنه من الأجدر توضيح المفاهيم والدلالات المنضوية خلف مصطلح " التشاكل " من خلال آراء النقاد الغربيين أوالعرب والتي تعددت واختلفت بحيث لا يمكن حصرها وكل تعريف يعكس وجهة نظر صاحبه والمنطلقات النظرية والخلفيات المعرفية التي ينطلق منها.

2-1 مصطلح التشاكل عند الغرب:

يجب الإشارة بادئ ذي بدء على أن مصطلح التشاكل وليد الاحتكاك بالثقافة الغربية منذ أن قام بوتيى(1964) وغريماس gremas (1966) وجماعة مو m group

[1] بن أبي الأصبع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، www.al.mostafa.com، 03/01/2016، 13:02، ص 78.

(1982) وصولا إلى تطويرات محمد مفتاح (1985) وفرانسوا راستيF. Rastier (1987) والتشاكل يحتل مكانة مركزية بغية انسجام الخطاب[1] .

لعب التشاكل دورا مهما في السيميائيات المعاصرة، وخضع مفهومه إلى التطور عبر انتقاله بين الباحثين، إذ تم تعريفه بطرق مختلفة نعرض بعضها فيما يلي:

تعريف غريماس GREMAS بزغ مصطلح " التشاكل " عند مؤسسه الأول " غريماس " كونه اجتلبه من سيمياء السرد واستقاه من مجال الفيزياء، حين كان يشير لمدلولين هما:

1.مدلول الوحدة والتشابه.

2.مدلول الانتماء إلى حقل أو مجال أو مكان.

ولا يمكن لهذا التشاكل أن يصبح متشاكلا، إلا إذا امتلك سمة أو مجموعة من السمات السياقية المشتركة elassèmese [(2)]. فالتشاكل هنا بمثابة تكرار لوحدات دلالية ومعنوية تشكل أهم تمفصلات النص، وهذه المقومات السياقية (الكلاسيمات classeme) ترتبط بالسياق النصي حيث مجموعة من الصور المدرجة (المعجمية) ترتبط عبر مقوم (سمة) سياقي، وهذا الأخير لا يتحدد إلا عبر انزياحات واختلافات عن المقوم الثاني، مما يؤدي إلى إنتاج تشاكل دلالي.

هذا وقد اقترح تعريفا آخر يتضح في قوله: أن مصطلح التشاكل ذو جذور إغريقية فهو مشتق من " yog " وتعني نفس أو ذات yopyh تعني البنية أو الشكل [(3)]. وهذه الجذور تنقسم بدورها إلى قسمين:

القسم 1: (isos) ومعناه يساوي أو تساوي المكان.

القسم 2: (topos) ومعناه المكان أي المكان المتساوي.

[(1)] ينظر: جمال بن دحمان: الإتساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب والانسجام، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2011، ص 116.

[(2)] ينظر: وردية محمد سحاد: تشاكل المعنى في ديوان مقام البوح لـ : عبد الله العشي، دار عيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2012، ص 26-27.

[(3)] ينظر https://at.m.wikipipedia.orglwiki // 19:16 ،4/03/2016

ثم أطلق هذا اللفظ المقسم إلى قسمين على الحال في المكان، أي في مكان الكلام فقصد به كل ما استوى من المقومات، والمتمثلة في التعبير والصياغة وتأتي متشابهة نحويا وإيقاعيا عبر شبكة من الاستبدالات [...] والذي يضفي إلى علاقة سياقية تحدد معنى الكلام [1] . يرجع أول ظهور لدراسة مصطلح " التشاكل " إلى الجهود التي قام بها "غريماس"، فهو من أوائل الباحثين الذين تحدثوا عنه، وأشاروا إليه وبينوه، وفي تعريفه هذا دلالة واضحة على أنه اقتبسه من حقله الأم (الكيميائية) وحمله دلالة سيميائية أثناء تأليفه لكتابه "علم الدلالة البنيوي la semantique sttuctutalle"وقال بأن التشاكل هو عبارة عن مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية [2] . ولا يختلف هذا التعريف عن التعريف السابق، لكن ما نلحظه في تعريفه هذا، أن التشاكل يوجد في الجملة كما يوجد أيضا في الخطاب، وبالتالي فهو يتم عن طريق تراكم المقومات المعجمية والمقومات السياقية التي أطلق عليها هو بلفظة (المقولات المعنوية)، هذا من جهة ومن جهة أخرى هذا التعريف فيه تخصيص واقتصار على الحكاية، فهو يتطابق كليا مع المفاهيم الكيميائية، التي تحتوي على ذرات وأثناء توزيعها نتمكن من تحديد تشاكلها وتجانسها من عدمه.

ونخلص إلى أن التشاكل عند غريماس هو:«استمرارية قاعدة سلمية للمقومات السياقية وهذا المقومات هي التي تمكن من انفتاح المركبات الاستبدالية والتي تحقق وحدات التمظهر، وهي تغيرات عوض أن تهدم التشاكل لا تعمل إلا على تأكيده» [3]

فالغرض إذن من دراسة التشاكل عند غريماس، هو البحث عن الانسجام الخطابي والتأكد على صحة المقروئية وخلق وحدة النص، وفيما بعد عرف التشاكل على يد تلاميذه عند كل من "فرانسوا راستي f. rastier" و "كورتيس جوزيف courtes.g" و "ميشال

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة سنا شبيل ابنة الحلبي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 21.

[2] ينظر: جميل حمداوي: السيميولوجيا(بين النظرية والتطبيق)، مؤسسة الوارق، عمان، ط 1، 2011، ص 554.

[3] المرجع نفسه، ص 545.

أريفيm. arrive"، الذين قاموا بتوسيعه وأدرك جانب النقص والتقصير الذي وقع فيه أستاذهم " غريماس " في تعريفه لمصطلح التشاكل.

عمد "فرانسوا راستي" على إدراك جانب النقص، الموجود عند "غريماس"، قام بتحديد التشاكل على أنه:«كل تكرار لوحدة لغوية مهما كانت » [1] . وقد اقترح تعريفا آخر أكثر شمولا وإلماما حينما قال إنه «موجود وملاحق لكل تركيب لغوي» [2] .

فالتشاكل إذن عنده يوجد في كل تركيبة لغوية باتخاذها بعدا دلاليا وشكليا، وبالتركيز على الوحدات اللغوية والشكلية.هذا ما يدل على أنه من أوائل التلاميذ الذين قام بنقد أستاذهم " غريماس " في تخصيصه " للتشاكل "، على مستوى الحكاية.

غير أن "جوزيف كورتيس" سعي لتحديد مصطلح " التشاكل " انطلاقا من آن أي سمة سياقية (كلاسيمات) في نص ما تضمن انسجام التشاكل فيقال بأن مقطعا خطابيا، ما متشكل إذا كان له كلاسيم أو عدة كلاسيمات متكررة [...] وإن المفهوم الأساسي للتشاكل يجب أن يفهم كمجموعة متكررة من المقولات الدلالية (كلاسيمات) تجعل قراءة الحكاية ممكنة [3].ولو وازنا بين ما نص عليه " غريماس " في تعريفه لمصطلح التشاكل، وبين ما ذهب إليه "جوزيف كورتيس" فلا نجد فرقا جوهريا بينهما، فالتشاكل عند كل منهما، هو تكرار لوحدات دلالية، لكن "جوزيف كورتيس" أضاف إلى أستاذه بأنه يقع أيضا على مستويات دلالية متجانسة.

والتشاكل في تصور "ميشال أريفي" يحتوي على نواة تركيبية Iterativite لوحدات لسانياتية تكون ظاهرة أو باطنة، وموجودة في التعبير (الشكل) وفي المضمون (المعنى) أو عبارة عن تكرار لتلك الوحدات اللسانياتية[4] .

---

[1] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، الدار البيضاء، بيروت، ط 3، 1992، ص 21.

[2] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، العاصمة، ط 1، 2010، ص 237.

[3] ينظر: جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة: جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط 1، 2007، ص 81.

[4] ينظر: عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شنا شبيل ابنة الحلبي)، ص 21.

بما أن"دولاص" لا يختلف عن ميشال أريفي في تعريفه لمصطلح "التشاكل"، إلا أنها توجد بعض الفروق الطفيفة عندما قال أن تلك الوحدات اللسانية تكون غير ظاهرة بالتناقص مع نمو وتنوع لوحدات أخرى تكون ظاهرة [1] .

فمصطلح التشاكل إذن عند " ميشال أريفي " و " دولاص " يقوم على تكرار، لمجموعة من القواعد والأسس الأدبية، مما يؤدي إلى تظافر تلك النواة الظاهرة والباطنة في العمل اللساني وتتصب في الشكل والمضمون معا.

بينما في تصور جماعة "أنتروفيرن" فالتشاكل هو الذي:« يحقق وحدة الرسالة أو الخطاب ويتحدد على المستوى المشترك الذي يمكن أن يحقق انسجام المعطي ويحيل المستوي على وجود بعض السمات الصغرى الدائمة والثابتة » [2]. يتحقق التشاكل عند هذه " الجماعة " عن طريق الاتساق والانسجام داخل الخطاب (التشاكل الدلالي) وعن طريق الجملة أو الخطاب (الكلسيمات).

لكن جماعة "مو groupe M" اقترحت بدورها تعريفا " للتشاكل " على غرار التعاريف الأخرى من خلال كتابها الموسم بـ:«بلاغة الشعر Lathétorique de la poesie»[3].

وقامت بتعريفه على أنه: «تكرار مقنن لوحدات الدال نفسها (ظاهرة أو غير ظاهرة) صوتية أو كتابية أو تكرار لنفس البنيات التركيبية (عميقة أو سطحية على مدى امتداد قول » [4]. من خلال هذا المفهوم، نصوغ شرطين لحدوث التشاكل وحضوره وهما:

1. التراكم المعنوي لرفع إبهام القول وإزالة غموضه.
2. صحة القواعد التركيبية، والمنطقية بما فيها من مساوئ.

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شنا شبيل ابنة الحلبي) ، ص 22.

[2] محمد رشاد الحمراوي: 00 : 19 / 2015 / 10 / 31 : arrifinu / www.maghtess.com // : http

[3] جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق، عمان، ط1، 2011، ص 548.

[4] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 1992، ص 21.

وأضافت في هذا الصدد تعريفا آخر بأنه هو خاصية بمجموعات محددة من وحدات الدالة المؤلفة من تكرار لمقومات متماثلة، ومن غياب مقومات مبعدة في موقع تركيبي تحديدي[1]. من هذا الكلام نستنتج أن جماعة "مو" درست " التشاكل " من وجهة نظر منطقية تركيبية، وعملت على توسيعه ليتعدى الوحدات اللغوية (الصوتية والصرفية...) سواء أكانت هذه الوحدات تقع على مستوى السطح أو العمق، وينطبق هذا التعريف على سائر الخطابات وفي غمار هذا البحث نخرج بجملة من النتائج أهمها أن:

- غريماس ربط مفهوم التشاكل والمشاكلة بالمضمون.
- راستي ربطه بالمضمون والتعبير معا.
- جماعة M ربطته بالتراكم المعنوي وصحة القواعد التركيبية.
- جوزيف كورتيس ربطه بالمستويات الدلالية المتجانسة.
- ميشال أريفي ودولاص ربطوه بالقواعد والأسس الأدبية.
- جماعة أنترفيرن ربطته بالاتساق والانسجام.

هذا ما يدل على تباين النقاد الغربيين في تحديدهم لمصطلح " التشاكل "، بينما النقاد العرب، قام باحتذائه من بيئته الغربية، وأطلق عليه عدة تسميات لكن هذا الاحتذاء فيه تضارب واختلاف وهذا ما سنتناوله فيما يلي:

2-2 مصطلح التشاكل عند العرب:

ظهرت صياغة مصطلح التشاكل في تراجم بعض الباحثين العرب متشابهة حينا، ومتباينة في أغلب الأحيان، وذلك بحكم تعدد مشاربهم ونظرياتهم التي ينطلقون منها، والمعاينة التي بين أيدينا تبين مستوى الاختلاف بين النقاد العرب في تلقي وترجمة هذا المصطلح، وهذا ما سنراه عند كل من: "سعيد علوش": التناظر، "أنور المرتجي": الإيزوطوبيا، "محمد القاضي": محور التواتر، في مجمل الكتابات التونسية السردية خاصة التي نستثني منها ضيع المنصب عاشور حينما أشار إليه بـ اطراد، "محمد عناني":

[1] ينظر : محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، ص 49.

التناظر الموضوعي أو التناظر الدلالي، "بسام بركة": تكرار أو معاودة لفئات دلالية، "مبارك مبارك" تكرار وحدات لغوية[1] . كل هذه المفاهيم تدل على أن " التشاكل " من بين المصطلحات الثرية، التي قد تتداخل فيما بينها وتشكل فوضى في ذهن الباحث عند التعامل معها، خاصة في ميدان الترجمة والتعريب الذي قام به " رشيد بن مالك " حين قام بتعريب هذا المصطلح إلى الإيزوتوبيا، حيث قال: تضمن الإيزوتوبيا Isotopie التحام الرسالة أو الخطاب [...] وتؤدي إلى التحام مجموعة من السيمات التي تشكل الجملة[2] . عمد في تعريبه هذا المصطلح التشاكل بغية التنظير والتأصيل لنظرية

" غريماس " برده إلى أصوله وربطه بأسبقيته المنتجة له، سعيا منه لإثراء مشروعه النقدي، وقد نهج النهج نفسه " عبد الملك مرتاض " فعرب الإيزوطوبيا وأسماها التشاكل الذي يقصد به كل ما إستوى من المقومات التي تكون ظاهرة المعنى وباطنة والمتمثلة في التعبير والمضمون[3] فعبد الملك مرتاض هنا قام بإلتقاف هذا المصطلح بشراهة علمية عجيبة، حيث أعاد عجنه وشحنه بمفهوم زاخر، يكمن في تشاكل المقومات التي تكون ظاهرة في معناها، لكن خفية في لفظتها، ورغم هذا الاختلاف في الترجمة والتعريب لمصطلح " التشاكل " إلا أن " البلاغيين العرب "وخاصة في " علم البديع " عمد على ربط الصلة بين التشاكل ومصطلحاته «السجع، الجناس، التشطير، التصريع، المزاوجة، التصدير، رد العجز إلى الصدر، الترديد...وقد حصروه في ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا وتقديرا »[4]. بمعنى أن يذكر المتكلم صراحة أو ضمنا علة الشيء، ثم

---

[1] ينظر: يوسف غليسي: مفهيم التشاكل في السيميائيات العربية المعاصرة (isotopi) ، الملتقى الوطني الرابع السمياء والنص، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، 29/28، ديسمبر ، 2006، ص38.

[2] ينظر: رشيد بن مالك: قاموس المصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي، إنجليزي، فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 94.

[3] ينظر: محمد سعيدي: التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007، ص 8.

[4] منصوري مصطفى: بنية التشاكل والتقابل في مقدمة عبيد بن الأبرص، الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 16/15 أفريل،2002، ص 334.

يأتي بعلة أخرى تناسب الغرض الذي يقصد به، بمعنى أن يستعير هذا المتكلم لفظة تكون مجاز لوقوعها في سياق ما يصح لها.

ومهما اختلفت الآراء وتكاثرت التعاريف يبقى مصطلح " التشاكل " له جذوره الضاربة في أعماق النقد العربي متمثلة " بالجاحظ " الذي يقصد بالمشاكلة « المطابقة الضرورية التي تجمع بين اللفظ والمعنى سواء في حالة إنفرادهما كقوله: [...والسخيف من الألفاظ مشاكل للسخيف في المعاني] أو في حالة ورودهما في تركيب أو جمل للتخاطب كقوله: ومتى تشاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه، أو أعرب عن فحواه، وكان الحال وفقا [...] وهذه المشاكلة تتم في نظره على مستوى الطبائع »[1]. فالمشاكلة عند الجاحظ تكمن في اللفظ والمعنى معا، فلا بد من هذا التشاكل كي يستقيم المعنى الصحيح، ويجب على الألفاظ أن توضع في موضعها بدقة.

ويطلق " ابن رشيق" مصطلح التصدير على المشاكلة «بأنها رد إعجاز الكلام على صدره، فيدل بعضه على بعض،...ويكسب البيت الذي فيه أبهة، ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة »[2] . بوجود ذلك المعنى المستقيم، الذي لا يحضر إلا بوجود معنى متمم له، وهذا المعنى يوجد في البيت الذي يليه، ويقصد برد إعجاز الكلام هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين في أول الفقرة وآخرها.

ويتناول "منير سلطان" مصطلح المشاكلة في شعر "شوقي" في تتجاوب مع إحساسه الموسيقي وتكون بترداد كلمة مرتين بنفس المعنى [3] . أي تكرار الكلمة نفسها، فخلص "منير سلطان" إلى تقسيم المشاكلة إلى نوعين: مشاكلة عامة هي التي تعنى بالانسجام

---

[1] محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ج 2، 1994، ص 160.

[2] صالح لحلوحي: التشاكل والتباين في شعر مصطفى الغامري، مجلة الأثر، عدد 17، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013، ، ص 124.

[3] ينظر: منير سلطان: البديع في شعر شوقي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د ط، 1986، ص 134.

والتوافق بين عناصر العمل الفني، مشاكلة خاصة وهي المشاكلة الإيقاعية [1] . فمن الصعب بلورة مصطلح " التشاكل " في البلاغة العربية، لكن قام بصياغته بمفاهيم أخرى كالإعادة اللفظية والاشتراك اللفظي أو المعنوي.

بينما بزغ لمصطلح " التشاكل " فجر بالغ الوضوح وشديد الدقة بين يدي "عبد القاهر الجرجاني" قائلا: «إن الأشياء المشتركة في الجنس، المتفقة في النوع، تستقى بثبوت الشبه بينها، وقيام الاتفاق فيها [...] ولا يقتضيان ذلك إلا من وجهة إيجاد الائتلاف في مختلف الأجناس، إنك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل في العقل، وإنما المعني أن هناك مشابهات خفية يدق المسلك إليها »[2] ، من خلال قوله هذا ندرك أن الجرجاني لم يورد تعريفا صريحا للمشاكلة كونه نظر إليها من زاوية العلاقة التي تربط اللفظة بمعناها على أساس أن هنا العلاقة تقوم في بادئ الأمر على فكرة الاختلاف لكن تقضي في النهاية إلى علاقة أخرى (الائتلاف).

أما إذا رجعنا إلى بعض الدراسات السيميوتأويلية نجد أصحابها قد ذكروا تعاريفا متعددة وهذا التعدد ينصب على مستويات الخطاب «التشاكل الصوتي، التشاكل الإيقاعي، التشاكل النحوي، الإحتيازي، الدلالي وبناء على هذه التنويعات يتم التحليل السيميائي التشاكلي الذي ينهض على سنن من التوصيف »[3] نجد أن مصطلح التشاكل ورد بتنويعات وتسميات مختلفة، فهناك مثلا ما نجده في المستوى الصوتي أو المستوى الإيقاعي أو المستوى الدلالي...وكل هذه المستويات تنصب في إطار واحد ألا وهو المستوى الخطابي، هذا ويكاد يجمع جل النقاد العرب والبلاغيين على أن التشاكل هو

---

[1] ينظر: منير سلطان: الإيقاع الصوتي في شعر شوقي الغناني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2000، ص 359.

[2] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1999، ص 89.

[3] وداد بن عافية: دلالية التشاكل في تنويعات استوائية لسعدي يوسف، الملتقى الدولي السادس، السيمياء والنص الأدبي ،جامعة محمد خيضر بسكرة، 20/19/18 أفريل،2011، ، ص 274.

أساس كل تركيبة لغوية ومن أمثلة ذلك ما أورده " أبو الفتح الموصلي " : «المشاكلة في الدرس البلاغي لم تخرج عن وجوه تحسين الكلام حيث اقتصرت على تكرار اللفظ بنفسه أو بوقوعه في صحبته مفردات حقله نائب في الدلالة عن غيره وما تكرر من هذا المعنى ورد مكرر في الكثير من الكتب البلاغية العربية القديمة »[1] . وعلى هذا المنوال سار على شاكلته " ابن يعقوب المغربي " حين قام بشرح المشاكلة قائلا: «ذكر المعنى ملتبسا في ذلك الذكر بالإتيان بلفظ غير ذلك المعنى »[2] . وتكلم " السجلماسي " هو الآخر عن المشاكلة قائلا: «إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعدا »[3] . جل هذه التعاريف تنطوي على مفهوم واحد " للتشاكل " وهو التكرار (الإعادة)، تكرار لفظي (إعادة اللفظة مرتين) وتكرار معنوي (إعادة المعنى بألفاظ مختلفة).

أما إذا نظرنا إليه بمنظار آخر نجد له تعاريف قد نمت وتطورت على أيدي نقاد عرب الذين استعاروه من عند الغرب نذكر البعض منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر: "عبد الملك مرتاض"، "عبد الله محمد الغذامي"، "مولاي علي بوحاتم"، "محمد مفتاح"...الذين استلهموه من بيئته الغربية ووضعوا له حجر الأساس في البيئة العربية، وكما أدركنا سابقا أن مفهوم التشاكل من المفاهيم السيميائية التي دخلت إلى الخطابات النقدية المعاصرة، واحتكت بالغرب ومن هؤلاء نجد " عبد الملك مرتاض " الذي حدد أصل اشتقاق المصطلح بأنه مصطلح «مشتق ومنحوت من كلمتين إغريقيتين [...] وبغية رفع اللبس الحاصل في ترجمة المصطلح ونقله إلى اللغة العربية آبا إلى بعض المعاجم الغربية، باحثا عن سر هذا المصطلح Isotopie كمصطلح يقترب عند غريماس

---

[1] الموصلي أبو الفتح: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج 1، 1995، ص 149.

[2] المغربي ابن يعقوب: شرح مواهب الفتاح على أبواب المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 1، ج 1، ص 490 – 491.

[3] السلجماسي أبو القاسم: المنزع البديع في تجنس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1980، ص 120.

بازدواجية اصطلاحية هي Isotopie و Isomorphisme أي تشابه وتناظر »[1]. وأورد تعريفا آخر يقول فيه أن: « التشاكل: تشابك لعلاقات دلالية عبر وحدة ألسنية إما بالتكرار أو بالتماثل، أو بالتعارض سطحا وعمقا وسلبا وإيجابا »[2].

إن تعريف مرتاض يمكن أن نجد فيه العديد من الملاحظات أهمها: اعتماده على المفهوم الغربي خاصة في دور التشاكل الذي لعب دور مهما في خدمة الدلالة، إلا أن هذا لا ينفي اجتهاده في المفهوم، حين ترك صبغته الخاصة به، التي تظهر في إشارته إلى أمر لم يظهر في تعريفات الغربيين الذين سبقوه ألا وهو التكرار والتماثل والتوافق، وقد عرج في كتاب له " شعرية القصيدة قصيدة القراءة" على أن التشاكل«فرعية من الفرعيات السيميائية التي اهتدى إليها غريماس من خلال تحليله لنص فرنسي قصير كتب سنة 1962 واستخرج منه خمسة تشاكلات»[3]. ويذكر في نفس الكتاب أن التشاكل يتألف من: «مكررات Literralivites أو متوترات، عبر سلسلة تراكبية، ومن أصناف سيميائية تحفظ للخطاب تناسقه »[4]. التشاكل عنده يقوم على خدمة الدلالة عبر النص الأدبي، ومساهمته في الكشف عن العلاقات الدلالية التي تربط بين مكونات الخطاب الأدبي، فالتشاكل ببنيته يتكون من مكررات تكون عبر سلسلة تراكبية تؤمن للخطاب الأدبي انسجاما وتناسقا. أي أن التشاكل هو فرع من الفرعيات السيميائية الذي غايته تتلخص لخدمة الدلالة عبر الجملة وصولا إلى النص أي عبر الخطاب.

---

[1] مولاي علي بوحاتم: الدرس السيمائي المغاربي، دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي، عبد الملك مرتاض، محمد مفتاح، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1980، ص 89.

[2] عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة " أشجان يمانية "، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994، ص 43.

[3] المرجع نفسه، ص 212.

[4] نسرين بن الشيخ، (عبد الملك مرتاض: مصطلح التشاكل من خلال كتابيه: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، نظام الخطاب القرآني، التحليل السيميائي للخطاب الشعري)، مجلة مقاليد، ع 5، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 12 / 2013، ص 212.

ويقدم لنا "عبد الله محمد الغذامي" رؤيته الخاصة بخصوص " التشاكل " فعرفه بقوله: «هي مبدأ يهدف إلى جعل الإبداع نظاما انضباطيا لتشاكل النص، بوصفه لغة، مع الأشياء بوصفها واقعا مقررا [...] واللفظ لا بد أن يطابق المعنى »[1]. وفي مقابل هذا التعريف نجد تعريفا آخر له قائلا:« المشاكلة من التشاكل والتشابه والتطابق تصبح بهذا أساسا للقراءة والحكم »[2].

يبدوا أن الغدامي في تعاريفه التي قدمها بخصوص التشاكل، أنه لم يكن يسريا أو انحياديا ولم يتطرق إلى مفهوم (التشاكل) عند الغرب بل هو من إبداعه الخاص أي رجعه إلى التقاليد أي الاختلاف إليها أو الاختلاف عنها وفي الأخير تنصرف معناها إلى الموافقة، المماثلة، المشابهة...

ومن هذا المعنى أطلق لفظ المشاكلة على « الظاهرة التي يراعي فيها تماثل أو توافق أو تشابه شيئين، أياما كانا: صوتين أو لفظتين أو لفظا ومعنى »[3].يعد التشاكل إذن مفهوما سيميائيا، كان له دوره في ميدان تحليل الخطاب ضامنا له انسجامه وتناسله ونموه هذا ما يدل على أنه بات عنصرا أساسيا وأداة من أدوات الإجرائية التي استخدمت في دراسة النص الأدبي مما جعل منه نظرية لتحليل النص في جميع جوانبه وإذا أخذناه بمفهومه الموسع فإنه سيتداخل مع مفهوم التوازي والاتساق ويتجاوز المعاني الظاهرة في النص إلى إيحاءاته الكاشفة[4]. وفي هذا السياق أراد " محمد مفتاح " أن يكون تعريفه أكثر إلماما من التعاريف السابقة فبنى مفهومه على آراء غريماس، راستي، جماعة مو ما يدل على أنه هو الآخر في مفهومه للتشاكل مستقى من المفاهيم الغربية إلا انه قام بنقل

---

[1] عبد الله محمد الغدامي: المشاكلة والاختلاف قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1994، ص 6 –7.

[2] المرجع نفسه، ص8.

[3] عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية، المشاكلة والتنغيم، رؤيا تحليلية، دار ومكتبة الحامد، عمان، الأردن، 2003، ص8.

[4] ينظر: محمد مفتاح: التلقي والتأويل مقاربة نسقية، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط 1، 1994، ص 159.

مفهومه من « الميدان العلمي إلى الميدان اللغوي محدا التشاكل المعنوي أي، تشاكل التعبير والمضمون معا »[1] وفي تعريفه هذا فيه تدارك للنقص الذي ورد عند السيميائيين الغربيين واقترح مفهوما آخر للتشاكل وهو: «تنمية لنواة معنوية سلبيا أو إيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة »[2].حاول "محمد مفتاح"مفهوم التشاكل فقال بداية أنه كان فيزيائي، ثم أصبح سيميائي على يد "غريماس" والتشاكل عنده يمس جانب الشكل والدلالة أي أن النص الإبداعي سواء أكان خطاب شعري أو نثري ينطلق من معنى يمثل نقطة في مجال أو فضاء كبير من إيحاءات ودلالات وهذه النقطة يبدأ منها النص ثم يبدأ منها المعنى، هذا ما أدى إلى توسيع في المفهوم ليمتد إلى «مجموعة من العناصر التي اخرجتها تحديدات غريماس (مستوى المحتوى) وراستي (مستوى العبارة) جماعة M (القواعد التركيبية والمنطقية غير المناقضة للتشاكل العام) من دائرة التشاكل »[3]. هذا فيض مما عالجه الناقد العربي محمد مفتاح في تعريفه للتشاكل والملاحظ في جل تعاريفه نلمس فيها البعد السيميائي الغربي ويظهر التأثر بالمفهوم الغربي واضحا وجليا لكن بإضافة عنصر التداولية الغائب في تعاريف الغربيين والتداول هو علاقة المتكلم باستعماله للغة وبالمتلقي وبالسياق الضامن لسلامة التواصل.

---

[1] مولاي علي بوحاتم: الدرس السيمائي المغاربي، دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي، عبد الملك مرتاض، محمد مفتاح، ص 89.

[2] محمد الداهي: سيميائية السرد بحث الوجود السيميائي المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2009، ص 147.

[3] عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة)، شركة نشر وتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط 1، 2002، ص 104.

" فمحمد مفتاح " أراد أن يسد الثغرات التي وقع فيها الأسلاف، فكون لنفسه مفهوما أكثر إلماما وشمولا وهذا ما يدل على تعدد في المصطلحات التي تقع في جميع المستويات، لكن أهمها عنده: «تشاكل التعبير، تشاكل المعنى، تشاكل الإيقاع ».[1]

3.أنواع التشاكل:

3-1 تشاكل التعبير: يعد هذا النوع المنطلق الأول في التكرار الذي يقع على مستوى الشكل ويتضح ذلك من خلال قول "راستي": «الشعر تعبير ومضمون، ولربما كان التعبير فيه أهم من المضمون وخصوصا العنصر الصوتي والتعادلات والتوازنات التركيبية منه »[2]والتشاكل على حد قول " خيرة حمرة العين " أنه يحمل صورة تركيبية نحوية تؤدي إلى وظيفة البلاغية[3]. يحيلنا هذا التعريف إلى أن التشاكل التعبيري لا يقتصر على التراكيب النحوية إنما يتجاوز ذلك إلى عملية الإبلاغ والاتصال.

3-2 تشاكل المعنى:

مهما أعرنا الاهتمام للشكل يبقى المضمون هو القطب الرئيسي لفهم العملية التواصلية، والتشاكل على مستوى المعنى يكون التركيز فيه على المحمول والموضوع وهو ما يسميه " محمد مفتاح " «تشاكل الرسالة»[4].

وهذا النوع من التشاكل يولد من تكرار ما يدعي بالمقومات السياقية فالتشاكل إذن يقوم على «تكرار سمات عبر التركيب، يؤدي هذا التكرار إلى انسجام الجملة وعدم

---

[1] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 3، 1992، ص 21.

[2] المرجع نفسه، ص 21.

[3] فيصل الأحمر: معجم السيميائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، العاصمة، الجزائر، ط 1، 2010، ص 240.

[4] المرجع نفسه، ص 240.

الالتباس، ويقوم التركيب بعملية إضمار سمات وتنشيط أخرى قصد تحقيق هذا الانسجام»[1].

3-3 تشاكل الإيقاع:

والذي قامت بتوضيحه خيرة حمرة العين بهذا المخطط:

تشاكل الإيقاع ←
- تشاكل الصوت: يكون من خلال القيمة التعبيرية للصوت
- تشاكل الكلمة: يكون من خلال سيميائية التقارب – التباعد – التكرار
- اللعب بالكلمة: بالاشتقاق والإبدال والتغيير[2]

يظهر لنا أن تشاكل الصوت يمس تكرار الحروف المهيمنة في قلب القصيدة وتشاكل الكلمة يتجلى من خلال تكرار كلمة أو في تقارب أو تباعد دلالتها المعجمية أو النحوية... وتقصد بلفظة اللعب بالكلمة على أن كلمة واحدة تحضر وتغيب في دلالتها من خلال إبدالها بمصطلح يقابلها أو تغييرها، فقد سار على النهج نفسه " عبد الملك مرتاض " من خلال كتابه " شعرية القصيدة قصيدة القراءة تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية في تقسيمه للنوع الثالث من أنواع التشاكل وهو «الإيقاع التركيبي، الإيقاع الداخلي، الإيقاع الخارجي»[3].

وخلاصة القول أن التشاكل هو تراكم مستوى معين من مستويات الخطاب فهو يحث من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة وهو نتيجة حتمية لتباين العناصر التركيبية للخطاب الشعري، بيد أن هذا المصطلح لم يكن منهجيا أو مؤسسا على أساس متين بل بقي مضطرب تجرفه وتناقده مختلف التصورات، تلك هي الحقيقة التي يجب أن نبني عليها بحثنا هذا، أما بخصوص مصطلح " التباين " فقد تقدمت الدراسات على انه لا بد من

---

[1] عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2001، ص 91.

[2] خيرة حمرة العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي دراسة، دار الحوار، سورية، ط 1، 1983، ص 175.

[3] عبد الملك مرتاض: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة " أين ليلاي " لمحمد العيد آل خليفة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص 147.

وجود صلة قوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل مادة من مواد الدراسة، إذ الأصل في الاستعمال هو اللغة ثم يجري نقل اللفظة إلى الاصطلاح كما هو معلوم وقبل أن نلج إلى مفهوم التباين لابد من إيضاح وهو أن مصطلح التباين لم ينل القدر الكافي من التنظير رغم مصاحبته لمصطلح التشاكل هذا ما يدل على وجود اختلاف وتباين لكن هذا الاختلاف هو سنة من سنن الوجود، بل هما آية من آيات الله تعالى لقوله عز وجل: ((وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ)) (1) وبما أننا تطرقنا إلى تعريف " التشاكل " في حده اللغوي والاصطلاحي، وعرجنا إلى مفهومه عند الغربيين أو العرب، فإننا سنتطرق إلى معنى التباين كما يلي:

ثانيا: التباين:

أ- لغة :

يعرف التباين في معجم " لاروس العربي" من مادة: «(ب ي ن) من باب الباء بأن يبين بينا وبائنا: الشخص منه وعنه: بعد وانفصل " بانت المرأة عن زوجها " يبين بيانا وتبيانا بائن وبين مبين: الشيء: ظهر واتضح، باين يباين مباينة: فارقة الشيء: خالفه: إن الإسلام يباين كل المذاهب والأفكار الوصفية اعتقاد وتصورا ومنهجا، تباين يتباين تباينا الصديقان: افترقا تباين ما بينهما، تفارقا، تباينت الأسباب: اختلف، وتباين: مصدر تباين: جمع الأفكار أو الصور الشعرية المتباينة بعضها بجانب بعض »[2]يدل هذا المعجم في جل ما قدمه على ورود مصطلح واحد ألا وهو الاختلاف والتضاد والتناقض، معنى أن لكل طرف رأي مخالف للآخر.

---

(1) الروم: الآية 22.

(2) إبراهيم السامراني وآخرون: المعجم العربي، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، 1989، ص 189 – 190.

أما وروده في " معجم المصطلحات الأدبية " :« التباين هو تمايز الأشياء بضدها في الأدب يدل على اشتمال الموقف على حالات متعارضة تؤدي إلى مغايرة، تحدد أبعاد الصراع الدرامي »[1].أي أن يطلق اللفظ على المعنى ونقيضه وضده.

كما تناوله " أبو الفتح البعلي" « أن لأصل في الألفاظ التباين »[2]. أي أن يكون لكل لفظ معنى غير المعنى الآخر.

أما عند " عبد الرؤوف المناوي " فيقول: «التباين ما إذا نسب أحد الشيئين إلى الآخر لم يصدق احدهما على شيء مما صدق عليه الآخر، فإن لم يصدق على شيء أصلا فبينهما تباين كلي كالإنسان والفرس ومرجعهما إلى سالبتين كليتين، وإن صدقا في الجملة فبينهما تباين جزئي كالحيوان والأبيض وبينهما عموم من وجه مرجعهما إلى سالبتين جزئيتين »[3].فتعريفه هذا قائم على الاختلاف والتمايز بين جنسين أو نوعين. وضرب لنا مثالا بين الإنسان والفرس،والاختلاف بينهما يكمن أن كل من الجنسين لا ينتميان إلى الحقل نفسه فيها تباين كلي سلبي.

ب- اصطلاحاً :

إذا عدنا إلى المعنى الاصطلاحي للتباين، نجد أن كل من الحقول العربية والغربية، قد أعطت له تعريفات عدة، هذا ما سنفصل فيه فيما يلي:

2-1 مفهوم التباين عند الغرب:

يطلق على مصطلح التباين مصطلحات أخرى وهو «اللاتشاكل وهي ترجمة عن اللفظين (Allotopie) و (Hetérotopie) والمفهومان منقولان عن راستي»[4] . فإن

---

[1] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، المملة المغربية، ط1، 2010، ص 85.

[2] البعلي أبو الفتح: المطلع على أبواب المقنع: تحقيق: محمد بشير الأدبي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج 1، 1981، ص 271.

[3] المناوي محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف: تحقيق: محمد رضوان الذاتية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ج 1، ص 157.

[4] مولاي علي بوحاتم: الدرس السيمائي المغاربي، دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي، عبد الملك مرتاض، محمد مفتاح، ص 148.

هذا التباين هو ما يطلق عليه في اللغة الفرنسية «Hetérotopre وهذا المصطلح منحوت من لفظين إغريقيين هما:

(Heteros): معناه غير أو آخر.

(Topos): معناه المكان الآخر »[1]. قد يكون هذا أشمل تعريف قدمه الغربيين حول هذا المصطلح ولعل أقرب مفهوم له هو «الاختلاف (Differince) وهو مصطلح قديم من مصطلحات المناطقة الذي يطلقونه على مثال بينهم وهو أن الغيرية مقابل الهوية أو الآتية (Alterite≠identite) »[2] .

من المعروف أن التباين عند السيميائيين يكون فيه جانب من الانزياح بين وحدتين اثنين أو جملة من الوحدات فيكون ذلك أول الشروط لظهور المعنى، قد يكون أيسر تعريف قدمه " غريماس " «وجود لفظين والعلاقة بينهما، ولا بد أن يكون بين هذه اللفظتين معا شيء يربط بينهما، وشيء آخر يخالف بينهما »[3] .

مفهوم التباين عند العرب:

ارتأينا أن نبدأ بالتماس مصطلح "التباين " كما هو متجلي في كتب البلاغيين العرب وبمسميات مختلفة كالطباق والتضاد وغيرهما مما أطلق في علم البديع[4]. كما هو الشأن عند "القيرواني" في إشارته لمصطلح التباين في باب المقابلة بذكر تعريفا قائلا: «المقابلة بين التقسيم والطباق وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطي أول الكلام ما يليق به أولا، وآخره ما يليق به آخره ويأتي في الموافقة بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه وأكثر ما تجد المقابلة في الأضداد فإن جاوز الطباق

---

[1] عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شنا شبيل ابنة الجلبي)، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص 22.

[3] المرجع نفسه، ص 22.

[4] ينظر: منصوري مصطفى: بنية التشاكل والتقابل في مقدمة معلقة عبيد بن الأبرص،الملتقى الوطني الثاني السيمياء النص الأدبي ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 15 – 16 أفريل ، 2002، ص 334.

ضدين كان مقابلة »[1] .قد يكون هذا أشمل تعريف قدم بخصوص مصطلح التباين في الفكر النقدي لكن عند النقاد المعاصرين الذين ربما كان "عبد الملك مرتاض" أبرز من قدم منهم أدق تعريف حين قال: «التباين لا يكون إلا غلى أساس من التشابه الذي يعتبر بمثابة دعامة يرتكز عليها، وهذا لا يكون إلا بالإتريا‌ح بين وحدتين أثنين، أو جملة من الوحدات، فيكون ذلك أول الشروط لظهور المعنى »[2]. واللافت للانتباه أن مصطلح " التباين " يطلق على لفظة اللاتشاكل «أما اللاتشاكل فيقوم في هذا الكلام على أساس التأليف بين أطراف متناقضة وهو ما يمكن أن نطلق عليه التباين »[3].

كما هو الشأن عند " محمد مفتاح " في إشارته للتباين قائلا: «التشاكل لا يحصل إلا من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة ومعنى هذا أنه ينتج عن تباين! فالتشاكل والتباين إذن لا يمكن فصل احدهما عن الآخر » [4]. ليستقر في نهاية المطاف إلى أن«التشاكل في تصور العلمين لا يحدث إلا بتعدد الوحدات اللغوية أي بالتباين » [5]. فكل من التشاكل والتباين عند "محمد مفتاح " هو مفهوم واحد، والتباين مصاحب للتشاكل كما أنه: «هو الذي يحصل به الفهم الموحد للنص المقروء وهو الضامن لانسجام أجزائه وارتباط أقواله وأنه يتولد عنه تراكم تعبيري ومضموني تحتمه طبيعة اللغة والكلام،وأنه هو الذي يبعد الغموض والإبهام اللذان يكونان في بعض النصوص التي تحتمل قراءات متعددة»[6]

---

[1] ابن رشيد القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ص 23.

[2] إبراهيم عبد النور: (قراءة في كتاب نظرية القراءة)، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جهود عبد الملك مرتاض في تنظير القراءة، مجلة قراءات، جامعة محمد خيضر بسكرة، عدد 2010، ص 135.

[3] محمد دبيح: (ثنائية التشاكل والتباين في الخطاب النقدي المغاربي الجديد)، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد العاشر، 2014، ص21.

[4] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 3، 1992، ص 21.

[5] مولاي علي بوحاتم: الدرس السيمائي المغاربي، دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي، عبد الملك مرتاض، محمد مفتاح ، ص 148.

[6] المرجع نفسه، ص 21.

لكن "أحمد مداس" يعارض هذه المقولات ويسمي التباين بأنه: «الاختلاف في التأليف اللغوي »[1].

على العموم يمكننا القول فيما سبق أن " التباين " هو الآخر يخضع لقواعد وقوانين تكون منظمة وفق سياقات وتجليات معينة وجوهرها هو التفاعل الحاصل بينهم، بحيث يتبع كل عنصر عنصر آخر ومن خلال ما قدمه " محمد مفتاح " في تعريفه له سوف نعرج إلى تجليات التباين.

1-تجليات التباين:

يرى "محمد مفتاح" بأنه: «أحد المكونات الأساسية لكل ظاهرة إنسانية، ومنها اللغوية وقد يكون مختفيا لا يرى إلا من وراء حجاب، وقد يكون واضحا كل الوضوح حينما يكون هناك صراع وتوتر بين طرفين أو أطراف متعددة »[2] .

ومن خلال تعريف " محمد مفتاح " نبرز أن التباين يتجلى فيما يلي:

«أي انه يكمن في التناقض بين أجزاء الخطاب كما يقوم على عنصر الصراع المتجلي تركيبا في الخبر / الإنشاء.

الجملة الاسمية / الجملة الفعلية

الخطاب / الغيبية

الإثبات / النفي

---

[1] أحمد مداس: (التشاكل والتباين في الخطاب الشعري، قراءة في الوضع التركيبي لقارئة الفنجان)، الملتقى الوطني 4 للسيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر بسكرة، 28 – 29 ديسمبر 2006، ص 18.

[2] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 71.

النهي / الأمر

الثني / المقابلة (...وإن...ولكن)[1] .

كما تناول الباحث " وليد العناتي " تعريف له بخصوص " التباين " وفي تعريفه هذا سنلمس تجليات " التباين " عنده أن اللغويين العرب لم يستخدم مصطلح التباين للدلالة على تعدد الوجوه المستخدمة في البنية اللغوية الواحدة وإنما استخدم في العبارات والمصطلحات التي تدل عليه وتشير إليه ويتجلى التباين عندهم من خلال:

– لغتان: الجُنْدَب والجُنْدُب

– وجهان

– وفي الخلاف: وهو لهجة معروفة

– وفي ثلاث لغات: هُوَ – هُوْ – هُوَّ

أي يظهر المتغير اللغوي الذي هو أساس التباين في اللغات[2] .

نسجل في البداية أننا وجدنا أنفسنا أمام كم هائل من التعريفات الخاصة بمصطلح " التشاكل " وكل تعريف يعكس وجهة النظر الخاصة بمعرفته والمرجعيات الفكرية والتراكمات المعرفية التي ينطلق منها ، وبذلك اقتصرنا على بعض التعريفات التي نواها تخدم هذا البحث ، فالتشاكل هو الغالب إذن ، بينما التباين أو الاختلاف هو الذي يسهم في تأسيس الدلالة كون أنه أي نص أدبي يشمل على عناصر تكون مرتبطة إما بالتشاكل

---

[1] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص ، ص 71.

[2] ينظر: وليد أحمد العناتي: التباين وأثره في تشكيل النظرية اللغوية العربية، دار جريد، عمان، الأردن، ط 1، 2009، ص 325

أو التباين ، وإنما احتواه هذا الفصل إنما هو محاولة بسيطة بحاجة إلى تعميم ورؤية جديدة من قبل المتلقي أو القارئ.

الفصل الثاني :

حضور التشاكل والتباين

في ديوان قصائد متوحشة لنزار قباني.

أولا: تجليات التشاكل وأبعاده السيميائية في ديوان قصائد متوحشة .

1- تشاكل الحرف (الصوت)

2- تشاكل الكلمة

3- تشاكل العبارة

4- تشاكل البدايات

5- تشاكل الخواتيم

ثانيا : تجليات التباين وأبعاده السيميائية في ديوان قصائد متوحشة.

1- على المستوى الشكلي والمضموني.

2- على المستوى الإيقاعي

سنقتصر في هذه المحطة على المزج بين " التشاكل والتباين " في شعر نزار قباني " الذي يمد بتجاربه الفنية بنفس عاطفي، يولد تلك الرؤية الحية، حيث تتحول قصائده في ديوانه الموسوم بـ " قصائد متوحشة " إلى ومضة حلم، يتميز فيها العشق على الحب، وتمتزج فيه صورة المرأة بالوطن، فلا يعود باستطاعة أحد أن يفرق بين عاطفة الحب نحو المرأة أو الوطن، لكن الشاعر أبدع في ربط الوطن بالمحبوبة، وهو ما أفصح عنه في بعض قصائده من ديوانه المشتغل عليه، حيث قمنا باستقراء تشاكلات عدة، علماً أن من مفاهيم التشاكل تشابك العلاقات الدلالية التي تكون إما بالتكرار أو التماثل [1] . وبهذا يكون مصطلح التشاكل هو التكرار ، الذي من خلاله يضمن انسجام الخطاب [2] .إلا أن " نزار قباني" قد عرف التكرار بقوله : هو علامة الهذيان بشيء ما ويكون داخلياً نابعاً من شعوره وذاته[3] .

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية، دار المنتخب، بيروت، ط1، 1994، ص 42.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 43.

[3] ينظر: مصطفى صالح علي: أسلوب التكرار في شعر نزار قباني، مجلة جامعة الأنبار للغات والأدب، ع3، 2010، ص 198.

أولا: تجليات التشاكل وأبعاده السيميائية في ديوان قصائد متوحشة لـ " نزار قباني ":

نهدف في هذه المحطة الكشف عن تجليات التشاكل، وأبعاده السيميائية في ديوان قصائد متوحشة للشاعر نزار قباني، تلك التجليات التي ظهرت بوضوح في شعره التي ترتبط – إلى حد ما – ارتباطا وثيقا بنفسيته وبناء حياته، إلى أن جعل منها أداة فاعلة داخل النص الشعري، وقام بتوظيفها توظيفا دقيقا، لتصبح أداة جمالية تحرك فضاء النص الشعري وتنقله من السكون إلى الحركة والموسيقى، فقمنا بالاستناد في هذا الديوان على تشاكلات عدة تراوحت ما بين التشاكل الصوتي، الكلمة، العبارة ، البدايات، الخواتم، وكانت أول وقفة على التشاكل الصوتي.

(1) التشاكل الصوتي (الحرف):

وهذا ما نرغب في استبيانه من خلال استنطاقنا لتلك الطاقة التعبيرية الكامنة في ديوان " قصائد متوحشة " محاولين رصد مميزاته الصوتية وذلك بنسيج حوار معمق أساسه التفكيك ، ويتبين لنا أن هناك أصواتا تهيمن على القصيدة بكاملها، فالتشاكل الصوتي من أنماط التشاكلات المنتشرة والشائعة وتتمثل في: « تكرير حرف يهيمن صوتيا في بنية المقطع أو القصيدة »[1] . ومن بينها ما جاء في قصيدة اختاري:

وسأرضَى عنْ أيْ قرارِ...
قُولي...افْعلِ ي...انفجرِي
لا تقِفي مِثلَ المِسمَارِ
لا يـُ مكنُ أنْ تُقْبَ ى أبدًا
كالقَ شَةِ تحتَ الأمْطارِ...
اختارِي قدراً بينَ اثنينِ

[1] أمال دهنون: جماليات التكرار في القصيدة المعاصرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، الجزائر، 2008، العدد الثاني والثالث، ص 348.

وماَ أَخْفَ هاَ أقدارِي...[2]

من الملاحظ على هذه القصيدة أن الشاعر اتكأ على استخدام مجموعة من الحروف وعمد على تشاكلها بين الكلمات المكونة لها، فشحنها بمجموعة من الدلالات والإيحاءات التي تساعد القارئ على الاقتراب من جرح الشاعر، من خلال تجربته الشعرية التي نجدها سابحة في محيط القصيدة.

فنلاحظ من تكرار صوت الراء جعل الكلمات المشتملة عليها تتشاكل فيما بينها صوتياً بشكل لافت في: (قرار، المسمار، الأمطار ، قدرا، أقداري، اختياري) و نلاحظ أن هذه الأصوات تتماثل وتتقابل، فدلالة هذا الحرف تتمثل في مخاطبة الشاعر لمحبوبته أن تبوح له بكل ما عندها، وهو سوف يرضى عن أي قرار تقرره مهما كان، ولكننا نلاحظ من هذه القصيدة أن الشاعر لن يرضى إلا بأحد الخيارين الذين خيرها بهما:

إماَ أَنْ تمَوتَ عَلَى صَدْرِهِ

أو فوقَ فَاتَ رِ أَشْعَارِهِ[1]

فكان حرف (الراء) المناسب للتعبير عن خلجات نفسيته ومكنوناته، وكان سبب طغيانه على هذه الأبيات الحالة النفسية التي ترتابه، والاضطراب الداخلي الذي يعيشه.

وكذلك نرى صوت (القاف) الذي تشاكل بشكل ملحوظ في الكلمات (قرار، قولي، لا تقفي، أبقي، قدرا، أقداري) ما يلاحظ على هذه الكلمات وجود تطابق كلي في الصوت باستثناء صوتي (و، أ) وبهذا يغدوا الاختلاف في نوع الصوتين، الذين يتوافقا دلالياً في الملامح الصوتية.

---

[2] نزار قباني: الأعمال الشعرية الكاملة،منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان، ج 1، 1944، ص 646.

[1] نزار قباني: الأعمال الشعرية الكاملة،، ص 645.

إذ يبدو صوت " الراء "الخالق لهذا النوع من التشاكل لهذا كان الأكثر دورياً في قصيدة " اختاري " إذ هو الصوت الأقدر على التعبير عن مشاعر الشاعر في اتخاذه لهذا القرار.

وقوله في القصيدة نفسها :

غُوصِي فِي البَحْرِ...أو ابتعِدِي
لا بَحْرَ...مِن غَيرِ دُوارِ...
الحُبُ...مُواجَهةٌ كُبرَى
إِبْحارٌ ضِدَ التَيَارِ...
صَلبٌ ، وَعذابٌ ، وَدموعٌ...[1]

نلمس في هذا المقطع حضورا واضحاً لحرف (الباء) البارز في كثير من أسطر القصيدة ونذكر في مثال ذلك (البحر، بحر، الحب، إبحار، صلب، عذاب) وهذا الحضور الطاغي لحرف الباء جعل هذه الكلمات تتشاكل يمارسها صوتياً ودلاليا، حيث استدعاه الشاعر ليعيد عن وجهات عن وصف المحبوبة بالمرهقة والخائفة من اتخاذها لقرارها وعواقبه، ويخيرها بأن تغوص في البحر أو الابتعاد عنه، فالبحر هنا رمز للحب والتضحية. فتشاكل هذا الحرف كان أكثر ارتباط بالمعنى و الدلالة التي تلائم ما يريده الشاعر الوصول إليه، بالإضافة إلى ذلك فهو صوت مجهور، لطالما أقلق وأثقل كاهل الشاعر.

و في قصيدة " أنا قطار الحزن " لمسنا فيها تشاكل حرفي (الفاء والياء)،فكان حضورهما مميزاً طغي على جسد القصيدة، فاخترنا مقطع منها لنوضح دلالة هذا الحرف بقوله:

وَأُمتطِي فَ جِيعَتِي...
وأُمتطِي غَيم سِيلَواتِ ي

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 645.

فيهاَ عُناوينُ حَبيبَتِ ي...
مَنْ كُنَّ، بالأمسِ، حَبيبَتِ ي...
يَفترسُ الحُقولَ فِي طَرِيقه
يسْألَنِ ي مُفتشُ القِطَار عنْ تذكِرتِي
وموقِفِي الآتِ ي...
... وهلْ هُناك موقفٌ آتِ ي؟
فَنادقُ العَالمِ لا تعْنِ ي
ولا عناوينُ حَبيبَتِ ي...[1] .

المتمعن في هذه الأسطر الشعرية ، يستقرئ تشاكلاً صوتياً أحدثه صوتي (الفاء والياء) مثلما هو موضح في الألفاظ الآتية : (فجيعتي، يفترس، موقفي، فنادق، موقف) كما يلب الشاعر إلى تشاكل حرف (الياء) من خلال الكلمات التالية : (أمتطي، فجيعتي، سيجاراتي، حبيباتي، يسألني، تذكرتي، موقفي، الآتي)، ما أجملها من رحلة وصلت إلى نهايتها، انتهت معها كل المحطات، كانت مليئة بالحزن صعد فيها حتى دخان سيجارته ، أجمعها محطة محطة، وتذكر كل من عرفهم وتعرف عليهن، تذكر في هذا القطار كل ما مر به من حزن وأسى وفرح، بل تذكرها سنة بسنة يوم بيوم.

كما نجد الشاعر حين توظيفه للحروف واستخدامها في بناء القصيدة عاملا مساعدا أسعفه في التعبير عما يختلج صدره نظرا لما تحمله من دلالات ايحاءات سيميائية عالية، وهذا ما سهل مهمته بالتنقل من حرف إلى آخر للوصول إلى غايته المرجوة، وهذا ما تجسد في قصيدة " الخرافة " يقول :

حِين كُنا...في الكتاتيبِ صَغَارًا
حَقنونَا...بِسخيفِ القَولِ..ليلاً ونَهارًا
درسوناَ

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 657- 658.

صورُوا الجنس لَنا...

يَخنقُ الأَفَ الَ

خَوفُونا...مِنْ عَذَابِ الله إن نَحْنُ عَشِقْنا

هَددونَا...بالسَكَاكِينِ ...إذا نَحْنُ حَلمَنا

فَ نشَأنا...كنباتات الصَحَارِى

نلعقُ الملَح، ونستافَ الغُبَارا[1] .

من خلال هذا الحرف " النون" نلاحظ تشاكل لبعض الكلمات ، التي تشكلت نسيج القصيدة ، وذلك مما هو موضح في الكلمات التالية: (حين، حقنونا، درسونا، يخنق، خوفونا، نحن، عشقنا، هددونا، السكاكين، فنشأنا، نلعق، نشتاق).

يتكلم الشاعر هنا عن العهد الذي تعلم فيه القراءة والكتابة، والتي زاولها في الكتاتيب، تعلم فيها أن المرأة يجب تجنبها لأن في قربها هلاك، وفي القصيدة يتهم القائمين على النظام التعليمي بالتخلف الفكري ويقول إن من حق كل شخص أن يمارس الجنس، وليس من حقه أن يخاف منه، ويقول في نفس القصيدة نفسها ليس تخويف الناس من الجنس خرافة.

ومن خلال استقرائنا لبعض النماذج الشعرية لاحظنا أن الكثرة الغالبة والمسيطرة من الأصوات اللغوية في هذه النماذج الشعرية كانت الأصوات المجهورة، ومن الطبيعي أن يكون كذلك، لأن الحالة النفسية التي مر بها الشاعر فرضت عليه اللجوء إلى مثل هذا النوع من الأصوات وذلك لما لها من دلالات ارتبطت بمواقف وأحاسيس شعورية ولكن هذا لم يمنع من الاعتماد على بعض الأصوات المهموسة ، التي لجأ إليها بغية الإصرار والتجدد.

(2) تشاكل الكلمة:

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 659.

إن كان تشاكل الحرف في الكلمة الواحدة يمنحها نغمة وجرسا موسيقيا ينعكس على جمال القصيدة، فإن تشاكل الكلمة « هو أبسط ألوان التكرار وأكثرها شيوعا »[2] . أوهي « تكرار عدة كلمات بنفس الأصوات »[3]. ولهذا فإن لهذا النوع دور فعال في إضاءة التجربة وتعميمها وتكثيفها، فهو ظاهرة أسلوبية نجدها عند الشعراء القدامى على حد سواء، ومن شواهد تشاكل الكلمة ما جاء في قصيدة " اختاري " يقول :

اخْتاَرِي الحُبَ..أو اللاَحُبَ.

ويقول ايضا مشاكلا كلمة " الحب"

الحُبُ...مُواجهةٌ كبَرى.

وقوله من القصيدة نفسها :

إنيِ لا أؤمنُ في حُبِ

وقوله:

آه...لو حبكُ يبلُغِ ي[1] .

وما يلاحظ على الكلمة " الحب " أنها جاءت في مطلع كل دفقة شعورية، كعود الثقاب الذي يشعل جذوة ثم ينتقل ويشعل جذوة أخرى، وهكذا إلى أن تضطرم نار القصيدة ويتجسد المعنى العام الذي يريده الشاعر إبرازه وهو الرغبة الملحة له للولوج في الاختيار بين الحب واللاحب، لمحبوبته الخائفة المترددة لا إلى هذا ولا إلى ذاك كون الحب بالنسبة لها هو مواجهة كبرى.

وقوله أيضاً في قصيدة أخرى " قارئة الفنجان " :

فالحُبُ عليكِ هو المَكْتُوبُ

وفي قوله:

---

[2] فهد ناصر عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص 60.

[3] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص، المغرب الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، ص 39.

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية ، ص 645

في الحبِ...على حدِ الخِنْجَر...

وقوله:

وتُحِبُ َملايينَ المراتِ [2] .

قام الشاعر في هذه القصيدة حواراً معمقاً بينه وبين قارئة الفنجان التي كانت تخفف عنه آلامه وحزنه، فهذا الحوار ذو بعد مستقبلي يكشف عن حالة الشاعر اتجاه هذا الحب العفيف الطاهر، فحب الوطن مكتوب عليه ، لكن سيقهر رغم صلابته و قوته.

وفي القصيدة نفسها نجد تشاكل في كلمة الفنجان بقوله :

تتأمل فنجاني المقلوب

وقوله أيضاً :

فِنجانكِ...دنيا مرعبةٌ

وفي قوله :

فنجاَناً يشبه ُفنجاَنكِ [1] .

فدلالة تشاكل هذه الكلمة " الفنجان " حققت تشاكلا لفظياً في (فنجاني ، فنجانك، فنجانا) فهي ترمز للشرق و ايهاناته المختلفة،وتحديد القضية الفلسطينية ومصيرها وما آلت إليه جراء الاستعمار، وكيف وقفت وساندتها الأمم العربية، ورغم الحروب والنزاعات بين الشعوب، لم يجد الشاعر قضية تشبه القضية الفلسطينية .

وفي قصيدة " لحمها ... وأظافري " نجد تشاكل في كلمتي " إعتذاراً ، الأعذارُ " فهما يختلفان من ناحية المعنى ويتفقان من ناحية اللفظة مما يدل على وجود جناس ناقص بينهما بقوله :

إنِ ي منكِ .. لا أريدُ اعتذَاراً

ما تفيدُ الدُموعُ والأعْذَارُ ؟ [2] .

---

[2] المصدر نفسه ،ص648-651

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 659

[2] المصدر نفسه : ص 660.

أضفى هذا التشاكل في كلمتي " اعتذار و الأعذار " مسحة ترديدة توحي بعدم ثقة الشاعر في هذا العذر أو الاعتذار ، فهذه المحبوبة تتفنن في فن الأعذار وتتجاهل الاعتذار فكل منهما يحملان الدلالة نفسها في سياق واحد وهو عتاب الشاعر لها ، كونها تركته وحيداً في هذه الحياة ، كونها كل شيء بالنسبة له ، فما نفع هذا اللوم وهذا الاعتذار وهذا العتاب بعد هذا الرحيل والهجران.

بعد الخوض في غمار تشاكل " الكلمة " وتبيان دلالتها وقيمتها الجمالية، ندلف عالم آخر وهو عالم تشاكل" العبارة " .

(3) تشاكل العبارة:

هذا النوع من التشاكل موجود بكثرة في القصائد المعاصرة، ويكون بتكرار عبارة بأكملها في جسد القصيدة، وإن جاء في بدايتها أو نهايتها فإنه يساعد على تقوية إحساس الشاعر، وأكد هذه الفكرة : محمد لطفي اليوسفي" يصنف هذا النوع من التكرار عودة القصيدة إلى اللحظة التي بدأت منها[1].

ومن ذلك ما قال الشاعر في قصيدة " الحزن ":

لَمنذ ِي بُحُ كِ ..... أَنْ أَحزنَ

وأنا ُمحتاٌج منذُ عُصورِ

وقوله :

علمنيِ بُحُ كِ، سيئَ ِي ، أسوأَ عَادَات ....

وقوله أيضاً :

علمنيِ حُبكِ

كيفَ أَهِم علَ ى وجهِي .... ساعاتٍ

وقوله في مقطع آخر

علمنيِ حبكِ

---

[1] ينظر: محمد لطفي اليوسفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، سراب للنشر، تونس، د ط، 1985، ص 129.

أن أتصرفَ كالصِبيانِ

وقوله أيضاً فيها :

علمنيِ حبكِ، يا سيدتَي ، َما الهذَيانُ

وقوله من القصيدة نفسها :

علمنِ ي بُدُ كِ

كيفَ أُبُدُ كِ في كلِ الأشَياءِ[1] .

يقول نزار : " الفرح عقيم وعاقر ولا يعطي أي شيء ... وأنا حين أتبلل بأمطار الحزن أبدأ الكتابة " [2] .

تدور أبيات القصيدة حول تشاكل واحد والذي طفى على القصيدة من بدايتها إلى نهايتها، رغم بروز بعض التعابير الملحة على الحب أو الحاجة إليه أو بتعبير آخر القيمة الجمالية للحب وربما كانت أعظم قيمة في الحياة لكن تشاكل الحزن وقف أمام ذات الشاعر والذي خيم على شعوره ووجدانه.

وفي مقابل هذا التشاكل نجد تشاكلاً آخر في قصيدة " قطتي الشامية "، ويظهر ذلك في قول نزار :

َداخِلَ قبضتكِ السحرِية

خَبئني فيها َ أياًما...

داخلَقبضتِ كِ السحريةِ...

لا تفتحُ كفكِ..واتُركِني...

َداخلَ قبضتِ كِ السحرِية

أنيتِ ي تلكَ...وما عِندِي [3] .

---

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 701.

[2] بروين حبيب : تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999، ص 239.

[3] المصدر السابق ، ص 666.

وهنا يظهر الوجه الآخر " لنزار قباني " وهو الذي يرفض فيه أن تتحرر المرأة، وتبقى في أحضانه الدافئة، وتمنى أن يملك استدارة يدها كسجن، لكان ملك العالم كونه أجمل وأطعم وأرقى مملكة الكون، فشبهها بالقطة، مثلما كان الشعراء القدامى يصفون حبيباتهم بالريم ويعني بها الغزالة.

وفي قصيدة " أحبك جدا " نجد الشاعر قد قام بتكرار العبارة (وأبقى أحبك...رغم اقتناعي) حيث يقول:

وأبقَ ى أحبكِ..رُغْمَاقتِ نَاعِي

بأن بقائِ ي إلى الآن حيًا

وقوله أيضاً :

وأبقَ ى أحِبكِ..رُغَمِيقينِ ي

بأَنالتَ لفظَ باسمِكَ كُفْرٌ [1] .

من خلال دراستنا وتحليلنا وصلنا إلى نتيجة مفادها أن تشاكل العبارة هو أسلوب سهل جدا ويخلص بعض الشعراء من المتاعب التي قد يواجهونها في البحث ، عن بدايات ونهايات مؤثرة ، ذات معنى عميق ،ولهذا سنحاول استقراء التشاكلات الحاصلة على مستوى بدايات ونهايات القصيدة النزارية.

(4)تشاكل البدايات :

يقصد به تشاكل بدايات كل سطر من أسطر القصيدة الشعرية سواء في لفظة أو عبارة ، بشكل متتابع أو غير متتابع [2] فإننا نجد في هذا الديوان تشاكلات عدة ، مما أدى إلى كثرتها وملازمتها لمكوناتها التركيبية والدلالية، ومن ذلك ما ورد في قصيدة " أحبُ ك جداً ":

" أحبكِ جداً .....

---

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 672.

[2] ينظر حسن الغرفي : حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا ، الشروق ، بيروت، لبنان، د ط ، 2001، ص 90.

وأعرِفُ أني تورطتُ جِداً

ويقول :

وأعرفُ أني سَأهزُم جداً ...

برغمِ ألوفِ الِ نساءِ

أبِحُ كِ جداً ...

وأعرِفُ أني بغَابَاتِ عَينيكِ ....

وقوله أيضاً :

أحبكِ جداً

وأعرِفُ أني أقَ امرُ ....

أحبكِ جداً

وأعرِفُ أن هَواكِانتِ حُارٌ

ويقول أيضاً :

أحبكِ جداً

وأعرِفُ ُمنذُ البِدَايةِ ... [1].

نجد في هذه الأبيات تشكلاً تركيبيا نحوياً وايقاعيا من خلال الكلمات (أحبك / أعرف) وضفها الشاعر لتبليغ رسالته الهادفة وهي أن هذه المحبوبة صعبة المنال فيصف نفسه بالمجنون لأنه من يريد نجماً أو يعشق الكواكب فهو في عداد المجانين ، فيقول أنه تعلق بها لدرجة التورط، رغم وجود نساء كثيرات فليست الوحيدة ، ويتعجب الشاعر من نفسه من بقائه على قيد الحياة، رغم أي مقاومة وأنه مقامر في المجازفة لأنه من لعب القمار ، فهو شخص مجازف، وظهر اعترافه بقوة وفخر بين العلاقة التي تربط حب معشوقته بالموت، فهي علاقة حتمية، مع هذا فهو يرغب بخوض هذا القمار من بدايته حتى نهايته رغم الموت الذي أحاط بعالم العشق .

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 671.

ومن تشاكل البدايات أيضاً ما نجده في قصيدة " إلى صامته "

تشاكلت الكلمتان (تكلمي / تحدثي) التين وردتا في هذه القصيدة أكسبها ايقاعاً عذباً ساهم في تكثيف وتأكيد فكرة الشاعر ورسالته التي يريد إيصالها ومن ذلك قوله :

تكَلمي .... تكَلمي

أَيتهُاَ الجَميلَةُ الخَرساءُ

وقوله :

تَحدثي إلى .... فِي بسَلطَةٍ

تحدثي ....

عماَ تحبينَ مِنْ الأَشَعارِ

وقوله أيضاً :

تَحَدَّثِي إلى عَنْ بيُروت

وحبناَ المَنقوُشِ ...

تكلمي .... عَنْ أبسَطِ الأشْياءِ

ويقول :

كلَمي ... عَلمفَعلتالَيوَم

تَحدثي ... تَحَدَثي [1] .

فالشاعر هنا يريد من هذه الحبيبة الخرساء الجميلة أن تتكلم ، فالحب يحتاج إلى رعاية واعترافات ، تحدثي ببساطة وانسيابية كما الطيور والأسماك، تكلمي فأنا أريدك جزءاً مني ، فليس بيننا أسرار تخفى ، فأنفجر تحدثي هل بعد كل هذين العامين بيننا أسرار وخفايا، يريدها أن تتكلم عن القصائد التي تحبها وعن أيام الحب وبيروت والحب المنقوش بينهما فوق الرمال والمحارب ، ويرجع ويكرر نفس السؤال أخبريني عن أخبارك، تحدثي ، تكلمي لا تبقي صامتة فإنك الأهم عندي فقط تكلمي لا تبقي صامتة .

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 659.

فنداحت هذه التشاكلات المنغمسة ترمض الأحشاء وتثير كوامن الأسس والتعاطف ويظهر هذا واضحا في قصيدة " أين أذهب "

كلُ يومٍ .... أُحسُ أَنكِ أقْربُ .
كلُ يومِ .... يصيرُ وجهكِ جَزءاً
منْ حَياتِ ي ... وصبح العُمْرِ أخصبُ
وتصيرُ الأَشكالِ أجملُ شَكلاً
وتَصيرُ الأَشياءِ أَحَنُ وأطيبُ

وقوله من نفس القصيدة :

اعتِ يادِي عَلى غِيابِكِ صَعبٌ ...
واعتيادِي عَلى حُضورِكِ أَصعَبُ ... [1] .

نلحظ من هذه الأبيات تشاكل دلاليا من خلال تطابق البدايات و خواتيمها هذا التطابق والتتابع الذي رسم لنا طبيعة احتيالية للعلاقة بين المرأة (بذكاء سنجاب) وبين الرجل الذي يعاني من التحولات تتجلى كأكثر ما تكون في الكلمات التالية (أقرب ، أخصب ، صعب ، أصعب) ولعل هذه القصيدة تعتبر من أفضل أشعاره في هذا الموضوع ،فهي تعرض مقدم الحب بصورة حصار مضروب على الشاعر في كل لحظة و مكان ،إن حضورها في نفسه ابدي ، وان وجهها يعيد تشكيل الدنيا عبر إعادة تشكيل النفس ، ولعل ذلك هو السر الأعظم في الحب فيما أن الحب هو صورة من صور الإدراك الحسي تستطيع عن طريقه أن ترى أرضاً جديدة وسماوات جديدة، فإننا ما نكاد نحب حتى نشعر بأن العالم تغير من حولنا ، إلى لم نقل بأننا نحن أنفسنا قد أصبحنا مختلفين كما قال :

منذ أحببتك الشموس استدارت [2] .

---

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 695.

[2] المصدر نفسه، ص 696.

أما في قصيدة " مع بيروتيه " فقد تشاكلت في بدايتها كلمة (بيروت) مما أدت إلى إضفاء جمالاً معنوياً وشكلياً : يقول :

بيروت . تغوصُ كلؤلؤةٍ

بيروت . تغيبُ بأكْلِ هاَ.

وقوله :

بيروتُ أفتشُ عن بيروت

وقوله أيضاً :

بيروت وأنتِ علَى صَدرِي [1] .

فقد ألح الشاعر على بروز هذه الكلمة بشكل رأسي متعاقب ليأكد على أهمية هذه اللؤلؤة وهي دلالة على شيء ثمين نادر ، الذي صوره في عيون حبيبته السوداوين، ثم تغزل بها كونها أصبحت موطن حبيبته ، وفي قصيده " رفقا بأعصابي "

استعمل الشاعر فيها تشاكل كلمة (شرشرت) في كل بيت من أبيات القصيدة، فتوالى التشاكلات بهذا النمط يسمح للشاعر أن يتكلم عن اللقاء الذي قطع وأختلج قلبه اتجاه هذه المحبة ، مما سبب له قشعريرة مقدسة استولت على قلبه حين التقى بها لأول مرة بتلك الذات المجهولة التي زعزعته من بركان أنانيته وهزت أركان وجوده هزا عميقاً، برغم ما أثاره من قلق وجزع ونشوة، فلا عجب إذن إذ كان المحب أول المترددين اتجاه عاطفته، وأول المتغافلين عن موضوع حبه، وهذا التردد والتغافل يؤدي إلى تراكم في المشاعر وانفاعالات ولحظات الوله مما يجعل الحب مكتمل ، وهذا ما نلمسه من خلال قوله :

شرشرت ...

فِي لَحمِ وأَعصابِي ...

وقوله فيها :

---

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 689-690.

شرشرت ... في صَوتِي ، وفِي لُغتِي.
وفَاتِ ري ، وخُيوطِ أثْوابي ...
شرشرت بي ... حَتى فِي عُرُوقِ يَدي
شرشرت بي ... عدًا وصَعقَ ة
شرشرت .... حتى صَارَ جَوفِ يَدِي
وقوله أيضا
شرشرت ... حتَى العظُم .... يا امرأَة
فتقَ فِي .. رفْقاً بأعْصَابِي [1] .

أما في قصيدة " إلى رجل " رغم بساطة العنوان إلا أنه حاصلا لمدلولات قوية وعميقة بعمق نفسية الشاعر نستشفها من خلال القصيدة التى بمثابة رسالة مشفرة ،تكشف أسرارها من خلال تشاكلـه للفظة " أنا أحبك" بمعنى أن هذه العبارة مخزونة عنده يلقى بها عند حاجته،ولا يوجد من منفذ لإخراجها إلا الشعر ، التي أعطيت للقصيدة صورة جديدة ،فتراه يكتب البحر عينها ،ويكتب فوق القيم وينقش حبه فوق الماء....

أنا أحِبكِ فوقَ الغيمِ أكتبهاَ
وللعصافيرِ والأشْجارِ .. أحكيهاَ
أنا أحبكِ .فوقَ المَاءِ أنقشُهاَ
أنا احبكِ ، يا سيفاً أسالُ دمِي
أنا أحبكِ . حَول أن تسُاَ عذِ ي [2] .

وفي القصيدة "رسالة من تحت الماء" وصل فيها الحب إلى ذروته العشق الذي يهلك صاحبه ،فيرعب في الموت خلاصاً من عذاب الشوق للحبيبة ،..... الحب محركاً له قبل فناء العمر ،فتراه يهددها بالموت إن لم تقبل به كون الحب والعشق الذي كنه لها تجاوز

---

[1] نزار قباني : الاعمال الشعرية ،ص694/693.

[2] نزار قباني : الأعمال الشعرية ،ص720/719.

الذات وحطم قوقعتها الصلبة ، فهذا الموت هو اختيار الأمثل ولا مفر من قرار أخر له إذ نجد فيها تشاكلا واضحا من خلال كلمة (علّمني).

علمني..

كيفَ أقُصُ جُذورَ هَواكِ مِن الأَعَماقِ

علمني

كيفَ تموتُ الدمعةُ فِي لأحداقِ

وتنتحرِ الأشواقِ..[1]

وفي القصيدة نفسها يطلب منها المساعدة ويناجها ،فيقول لها من كثرة حبه لها وابتلائه بهذا الحب الذي وصل به الى حد الموت أو الانتحار أن تساعده كي يشفى من مرض جميل هو الحب أو يرحل عنه ،إلا أن هذه الخاتمة كانت مأساوية مؤلمة .

تساعدني ..كَي أرحَلَ عنكِ

أو كنتِ حَبيبي..

سَاعِدِ ي ... كيتُشْفَ ى مِنكِ

(5) تشاكل الخواتم

سمى تشاكل الخواتم لأن موقع الكلمة يكون في ختام الأسطر الشعرية بشكل متتابع أو غير متتابع[2] ،ومثال ذلك ما ورد في قصيدة بالأحمر يقول الشاعر نزار قباني:

في كل مكان الدفتر

أسمك مكتوب بالأحمر

حّبك تلميذٌ شيطانٌ

يسئلى بالقلم الأحمر

---

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية الكاملة ،،ص 675.

[2] ينظر :حسن الغرفي : حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر "افريقيا الشروق ،بيروت ،لبنان ،(د.ط)،ص2001،ص:89.

ويقول أيضاً :

لا يرسم إلا ... بالأحمر[3]

الملاحظ على هذا المقطع أن كلمة "الأحمر" في نهاية الأسطر الشعر بشكل متتابع،أضفى ذلك مع هذا المقطع جوا موسقيا بتناغم مع الدلالة التى تحملها هذه الكلمة المكرر في كل مرة ، فالشاعر هنا أراد أن يبين مدى تميز هذا اللون الذي يدل على الحب الصادق .فهذا اللون رمز ثائر على الأعراف محرضا على الثورة تارة ورمزا للرغبة الجنسية ومعادلا للمرأة في تفاصيل شؤونها الغيرة كافة.

ولدينا نموذج اخر يدل هذا النوع والذي يظهر في قصيدة "بانتظار سّيدتي"..

أجلسُ فِي المقهىَ منتظِراً ..

أن اتَ ي سّيدتى الُحلوه..

أفَ تْشُّ عن " برجِ الَحملِ"

ساعِدِ ي يابُ" رَج الَحمل"

طمّني ..َيابُ" رَج الَحملِ"

هل أتَ ي سّيدتى الُحلوة؟

هل ترضَى سيّدتى الُحلوة؟

وقوله :

منتظرًا ...سَيدَ ي الُحلوة..؟ [1] .

تتمحور الأبيات حول صورة أساسية هي تشاكل لفظي "الحمل، الحلوة" على الرغم من تكرار كلمتين(برْج، سيدتي)،وذلك دلالة واضحة على إدراك الشاعر على أهمية هذا التكرار والحاحه بشكل ملحوظ على الألفاظ المكررة،مما يوحي بسيطرتها على الفكرة

---

[3]) المصدر السابق ،ص683.

[1] نزار قباني ، الأعمال اللشعرية ، ص726.

ووجدانه ،وإلحاحه هذا يكشف عن رغبته في التأكيد على فكرة الذي يسوقه وحرص على كشفه وإظهاره .والذي يمكن في حالته النفسية وانفعالاته المختلفة.

أدى هذا التشاكل الختامي دورا شعريا مقاربا للتكرار البدايات ودلالته تمكن في النهاية ليتعمق التأثير.

ففي قصيدة ""تذكرة سفر إمراة أحبها" يختم فيها الشاعر نزار قباني ملاحظته بتوكيد مشاعر الحب الصادقة بقوله.في تشاكل لفظة"لبنان"

أرجوك يا سيدتي ... أن تتركي لبنان.

وقوله :

أن تغُادرِي لبَنان

ويقول أيضاً :

حتىَ أَرى لْبنان

وترحَلي عَنى .. وعَن لبَنان..

أن تتَركِي لبَنان

لبنان

فلا لبنان[1] .

وقد استخدم الشاعر تشاكل هذه الكلمة (لبنان) ،يكون لديه صدى وتأكيد للمعنى والفكرة التي يريد أن يعبر عنها ،وكانت واضحة في نهاية القصيدة ،ما زاد ف تناغمها دلاليا ،وهذا البلد العريق لبنان الذي جمع بينه وبين محبوبته التي قطنت هذا الوطن.

من خلال دراستنا لتجليات التشاكل وأبعاده السيميائية في ديوان قصائد متوحشة لنزار قباني ، توصلنا إلى نتيجة مفادها أن التشاكل هو تكرار أو مقابلة أو ائتلاف أو هو إلحاح على جهة مهمة في الصوت أو الكلمة أو العبارة ..... يعنى بها الشاعر أكثر من غيره، وبالتالي فإن التشاكل يأخذ بعداً نفسياً له علاقة بنفسية المبدع .

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية ، ص 708.

وعليه ننتقل إلى بؤرة أخرى لا تقل أهمية عما سبقها، تقيم معها حواراً عميقاً ومتجدداً، نحاول أن نصل من خلاله إلى البؤرة الأصلية ، إنها بؤرة " التباين " على المستوى الشكلي والمضموني ولا سيما الإيقاعي.

ثانيا : تجليات التباين وأبعاده السيميائية في ديوان قصائد متوحشة :

وهذه البؤرة التي شكل فيها مصطلح " التشاكل والتباين " موضع اهتمام العرب واللسانيين والبلاغيين والنقاد وغيرهم ، ونتيجة لهذه الإتجاهات المختلفة ، فإن التنظير لهذين المصطلحين تنوع وأختلف باختلاف وجهات النظر ، فدافع كل فريق عن فعاليته ووجهته، ومع ذلك حاولنا في هذا البحث أن ندمج هذه الاتجاهات ونختزلها في نظريتين أساسيتين، كما فعل " فرانسوا راسيتي F.RASTIE " حيث أرجعها إلى مستويين ألا وهما الشكلي والمضمون ولا سيما الإيقاعي فإننا الأن سوف نبدأ في محاولة لكشف النقاب عن العلاقة التي تجمع " التشاكل والتباين " على المستوى التعبير (الشكل) وعلى مستوى المعنى (المضمون) وهذا المستوى الأخير له علاقة بين الحامل والموضوع ، حيث نجد تفاعلاً بينهما لا يعمل من خلال المتشابهات فقط . وإنما يعتمد على علاقات أخرى فيما بينها ، وهذا ما سنتناوله من خلال دراستنا لهذا الديوان .

(1) على مستوى الشكل والمضمون :

نحاول في هذا المستوى " الشكلي " استكناه مختلف التجليات التي يحتويها الفضاء النصي لهذا الديوان من خلال رصد المكونات الدلالية والكشف عن العلاقات المتشابكة بينهما على ضوء مفاهيم التشاكل والتباين، ويتضح ذلك من خلال قوله في قصيدة ' اختاري"

لا َيحملُ نزقُ الثُوار

لا يكسرُ كُلَ الأَسوارِ

لا يضْربُ مثلَ الإعصَارِ (1)

إن الملاحظ من خلال هذه الأبيات أنها تحتوي على عدة تشاكلات تتمثل في تكرار (لا النافية) التي تتوسطها الفعل المضارع : (يحمل ، يكسر ، يضرب) مما يؤدي إلى حصول تشاكل تعبيري أحضره الشاعر ، الذي خلق في الوقت نفسه تشاكلاً مضمونيا في الكلمات على الرغم من تباينها شكلياً (الثوار، الأسوار ، الإعصار) فكل هذه الوحدات تحمل الدلالة نفسها ، وهو الشعور الداخلي للشاعر فهو يريد حب يحمل نزق الثوار ، يكسر كل الأسوار ، يضرب مثل الإعصار.

ننتقل إلى قصيدة أخرى كونها غنية بتشكلات متنوعة وظفها " نزار قباني " بغية تبليغ رسالته وهي في القصيدة المتوحشة في قوله :

أنا تشرينَ .... شَهرُ الرِيحِ ،

والأمطاَرِ ..... والَبردِ .....

أنا تشرين ..... فأنسحِقِي .....

تصاعقهُ عَلَى جَسَدِي .... (1) .

فقد تشاكل السطرين الشعريين الأول والثالث فيما بينهما من خلال لفظة " أنا تشرين " ، الذين يشيران إلى تباين معنوي نستقرؤه من الريح والسحق فهاتان اللفظتان هما علامتان تدلان على الخراب والفزع ، الهلاك ، فكانت كل منهما تعبر عن آلام الشاعر وأشجانه،وهذا خلق تبايناً معنوياً يتجسد في الريح ≠ المطر ، هذه اللفظة أعطت طابعاً موسيقياً خاصاً يؤثر على النفس ويبعث فيها البهجة والأمل ، فالمطر هو رمز للخير والعطاء والخصب والنماء عكس الريح والسحق.

(1) نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 647.

(1) نزار قباني : الأعمال الشعرية ، ص 652.

هذا من جهة ومن جهة أخرى نستطيع اسقراءها كالآتي إذا كان دلالة للحياة ، فإن دلالتها في القصيدة هي الهلاك والضعف ، والأمر كذلك في لفظة البرد فكل من هذه الألفاظ أحدثت تباينا من خلال شهر تشرين الذي يدل على فصل من الفصول وهو شهر الخريف الذي يحدث فيه تحولات الطبيعة.

وفي القصيدة نفسها نجد تشاكلاً تعبيرياً يصرح من خلاله الشاعر تباين معنوي (مضموني) يتمثل في قوله :

كونِي الَبحرَ والميَناء

كونِي الأرضَوالمنفَ ى

كونِي الصَحْو والإعْصَار

كوني اللينَ والُعنفَ (1) .

من خلال استقرئنا لهذه الأسطر ، التي يتحقق فيها الانسجام وتتماثل فيها البنية الدلالية والتركيبية ، هذا ما يبرز تبايناً معنوياً يظهر في (البحر – الأرض / المنفى – الميناء / الصحو – العنف / اللين– الإعصار) فهي وحدات تختلف في الدلالة ، مما يجعل منها ثنائيات ضدية تزيد الدلالة وضوحاً وبروزاً ، فهذه الثنائية التي حفلت بها هذه القصيدة " القصيدة المتوحشة " لها دور جلي في تأكيد وتوضيح المعاني التي يريدها الشاعر أن تبقى في ذهن المتلقي، فعمد الشاعر إلى استخدام الكثير من الألفاظ المشتركة المعاني بغية أن يكون لهذه المعاني تماثلا وكذا تضاد، فاللفظ أحياناً لا يتضح إلى بإجراء ضده فتقوى الصورة ويزداد المعنى وضوحاً .

والأمر نفسه في قصيدة " قارئة الفنجان " على الرغم من بساطة العنوان شكلاً ومضموناً إلا أنه حامل لمدلولات قوية وعميقة بعمق نفسية الشاعر نستشفها من قول الشاعر :

ستحب كثيراً وكثيراً

ونموت كثيراً وكثيراً (2) .

---

(1) نزار قباني : الأعمال الشعرية ، ص 654.

لقد شاكل الشاعر بين السطر الأول والثاني ، مما أدى إلى تماسك المعنى ، وسيرانه وتقابل الحقلان ليجسد في النهاية تبايناً معنوياً، الذي يؤدي إلى بروز ثنائية بين لفظة (ستحب – تموت) .

سَتُحَبّ : ينصرف هذا المقوم إلى معنى الغيبي أو المسقبلي .

تموت : ينصرف هذا المقوم عكس صنوه (سَتحُّبُ) فهو يدل على أوال الحياة عن كل كائن ، حيث أن (الموت) شكل بضم التاء يدل عادة على الخوف أو الذعر ... ، وهلع جار، ولولا الموت لكانت الحياة سلسلة من الأشكال المتلاشية والمبعثة هرباً وقلقاً .

وهذا ما يدل على وجود توتر داخلي بين الحقيقة والخيال الذي يعيشه الشاعر وما يدل على وجود تقابل دلالي فكل ما هو حي يرمز (للحب) وكل ما هو طبيعي وجسدي يرمز (للموت) .

وتبرز لنا هذه القصيدة تشاكلاً أخر لا يقل أهمية عن التشاكلات السابقة من خلال قوله :

وتظلُ وحيدًا كالأصدَافِ.

وتظلُ حزيناً كالصفْصَافِ [1] .

تتشاكل تعبيريا هذه الأبيات من خلال تكرار لفظة (وتظل)، والتي نجد تشابها قائماً بين " الوحدة " و" الحزن " والمشبه به وهو الأصداف والصفصاف.

وهو ما حقق تبايناً معنوياً : وكذلك تباين يجمعه بين (وحيداً ، وحزيناً) فالأصداف : الموجودة على شواطئ البحار ، تقذفها الأمواج إلى أن يستقر وحيداً منتشراً متفرقاً على الشواطئ، وهذا التشبيه يرجع إلى الشعب الفلسطيني ،الوحيد المقهور.

---

[2] المصدر نفسه، ص 649.

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية ، ص 649.

والصفصاف : هو نوع من أنواع الأشجار ينمو بجانب الماء وهذا ما جعله حزيناً لأنه ينمو وحيداً دون سائر الأشجار الأخرى، فهذا الفلسطيني يبقى حزيناً يتمايل من هنا وهناك كشجر الصفصاف.

ومثال ذلك في قصيدة "خارج صدري" ... يقول الشاعر :

خَارِجَ صَدْرِي ....

أنتَ لا توُجَدين .....

خارِجَ عِشقِي .... أنتِ سلطَانَةٌ

مخلوعةٌ .....

خارِجَ صَدرِي .....

أنت مفقودةٌ .....

خارِجَ شِعرِي ... أنتِ مجهولَةٌ [1] .

من خلال هذه الجمل الفعلية وغلبتها يبرز لنا التشاكل التعبيري في هذه القصيدة ، ولا يخفى ما للجملة الفعلية من سمات الحركة والاضطراب، وهذا راجع إلى نفسية الشاعر وما حققه هذا النوع من تباين يتضح في الجمل الآتية : (خارج صدري ، خارج شعري، خارج عشقي) على الرغم من تباينها في الجزء الثاني من الجملة (صدري ، شعري ، عشقي) فقد تكررت في الأسطر الشعرية، مما ولدت لنا تبايناً معنوياً يتمظهر في (لا توجدين / مفقودة / مجهولة)

فدلالة هذه الألفاظ تعود إلى الحزن والألم الذي خيم على الشاعر مما أدى به إلى التشاؤم والانطواء، وهذا الألم هو الذي دفعه للشعور بالانقباض النفسي، والشعور بالغم وفقدان السرور ولذة العيش، فكانت هذه العلاقة بين الألم والحزن حتمية.

(2) على مستوى الإيقاع :

[1] نزار قباني : الأعمال الشعرية، ص 649

إن هذا النوع من الإيقاع يقع على مستوى الصوت و الكلمة والمقطع وقبل الكشف عن " التباين الإيقاعي " علينا أولا أن نعرج إلى مفهوم الإيقاع.

يعتبر الإيقاع من تكرار الأصوات التي تمنح اللفظة صدى مما يؤدي إلى إحداث أثر في نفسية القارئ [2] .

ولنا في قصيدة " رسالة من تحت الماء "تبايناً ايقاعياً " في قوله :

لو نأَ ي أَعرفُ

أن الحبَ خطيرٌ جداً ... ما أحببت

لو أَني أَعْرفُ

أن البحرَ عَميقٌ جِداً .... ما أبَحْرت

لو أنِ ي أَعْرفُ خاتَمِ ي

ما كنتُ بدأتُ ..... [1]

الملاحظ في هذه الأسطر الشعرية أن الشاعر قد عمد على توظيف نفس العبارة نفسها في بداية كل مقطع، التي تتمثل في قوله : " لو أني " فتشاكلت تعبيرياً بغية إضفاء الدلالة المرجوة منها، بغية إيصالها لخلاجات الشاعر سواء خلجات الشاعر النفسية وصبها في قالب شعري يوجز مشاعره، أم للمتلقي ليلتمس معنى الحاجة إلى (الحب) لأن الحب قضية إنسانية من حق الرجل والمرأة ولابد من إنشائها، كونها تفصح عن هذه القيمة وربما كانت أعظم قيمة في الحياة ، وهي أن الإنسان بالحب يحقق وحدته النفسية واكتمالها، لكن الشاعر في هذه القصيدة اتخذ رؤية مغايرة لهذه القيمة (الحب) كونه مارس الحب وفكر فيه لكن أعاد النظر فيه بقوله :

لو أنِ ي أعرِفُ

أن الحبَ خَطيٌر جداً ... ما أَحْببتُ [2]

---

[2]ينظر : عبد الرحمان تبرماسين : العروض وإيقاع الشعر العربي، ط1، دار الفجر، القاهرة، 2003، ص 86.

[1] نزار قباني ، الأعمال الشعرية، ص 674.

[2] المصدر نفسه ، ص 674.

ويأتي (البحر) ويشكل عالماً بذاته في شعر نزار قباني، ومن المعروف عن هذا العالم من عمق وأسرار وبما فيه من أمواج وزبد وزرقة، لكن (البحر) في هذه القصيدة ولد الإحساس بالتناقض ، وهو أن البحر دلالة مخيفة حمله الشاعر مما أدى به إلى التمني أن تساعده كي يشفى من مرض جميل و هو الحب الرحيل عنه.

كما باين إيقاعياً في قصيدة " اختياري " في قوله :

إني خيرتكِ ..... فأْختاَري

ما بين الموتَ عَلى صَدرِي

أو فوقَدفاترِ أشَعارِي

إختاري الحبَ أو اللاحبَ

ثم يقول :

ما بينَ الجنةِ والنارِ (1) .

والتباين في هذه الأسطر الشعرية : (هو الموت على الصدر /الموت على دفاتر الأشعار / الحب ، اللاحب / الجنة – النار)

فالتناقض واضح بين هذه الثائيات ، لأن كل وحدة هي عكس الأخرى تماماً ، يعكس لنا هذا التباين الإيقاعي بين الوحدات اللغوية واعتماد الشاعر على الثنائيات الضدية التي تزيد المعنى وضوحاً والمبنى تماسكاً ، مما يدعو إلى استخدام اللهجة الآمرة في ثنائية الحب و اللاحب / الجنة والنار.

حدد لنا الشاعر في هذه القصيدة دلالات الخيارين ، وربطهما بمدلولين فالموت على الصدر يدل على الحب وبالتالي يبرز لنا النعيم أن (الجنة) ، ومدلول الموت فوق دفاتر الأشعار يدل على اللاحب، وبالتالي فهو عذاب أي النار ، فكان الموت هنا دلالة لحياة الشاعر ، فالشاعر هنا يلج إلى قلب المحبوبة المتمردة بين الحب واللاحب.

ويردد الفكرة ذاتها في قصيدة " قطتي الشامية " في قوله :

---

(1) نزار قباني : الأعمال الشعرية ، ص 645.

وأدِفني .... تحتَ رمادِ يديكِ .

شهيدة عِشقِ صوفيةٍ

أدفني .....

حيثُ يشاءُ الحبُ ...[2]

فالشاعر شاكل كل مقطع مع الذي يليه، ويقوم هذا التشاكل على التكرار، وهو ما أعطى القصيدة تماسك في مبناها ، الذي يؤدي بدوره إلى تباين ايقاعي في توظيف الشاعر كلمة (أدفني) في التعبير عن الحب الذي دفع به إلى الموت ، فقد جمع الشاعر بين هذه الوحدات (الدفن . الحب) ليشكل صورته الفنية الخارقة، ولكن من خلال هذا التوظيف أخرج بهذه الكلمة (أدفني) إلى دلالة جديدة أكسبت القصيدة رونقا وديباجة.

مما سبق ذكره نلاحظ أن التشاكل التعبيري كان بارزاً في قصائد نزار قباني، فقد كان ديوانه " قصائد متوحشة " بمثابة موطن للتشاكل التعبيري الذي يقوم على التشابه والتكرار خاصة في الدلالة ، بالإضافة إلى التباين المعنوي مما يدل على أن الشاعر قد ضمن قصائده في هذا الديوان " للتشاكل والتباين " بمختلف مستوياته (الصوت ، الكلمة ، المقطع ، البدايات ، الخواتم) دون أن ننسى المستوى الشكلي والمضموني والذي كشفنا من خلاله عن دلالات القصائد وأبحرنا في عالمها وقمنا بفك طلاسم خفاياها، مما أثارت في أذهاننا جملة من التوقعات والاحتمالات.

[2] المصدر نفسه ، ص 670.

من خلال هذه الدراسة السيميائية توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها :

– أن التشاكل والتباين: مصطلحان سيميائيان دخلا حقل الدراسات الغربية قبل أن يستقبله الدارسين العرب.

– إن المعاني الواردة في المعاجم العربية دل فيها التشاكل على الاشتراك والتجانس.

– بزغ هذا المصطلح أولا في ميدان الفيزياء، وأول من نقله واستثمره في ميدان تحليل الخطاب جوليان غريماس aj greimas . الذي قصره على المحور المضموني ، أما فرانسواراستي (F.RASTIER) فيتولد التشاكل عنده عن تراكم تعبيري ومضموني، ولا يحصل إلا من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة ومعنى هذا أنه ينتج من تباين بينما جماعة (مو، GROUP) فيولد عن تكرار مقنن لوحدات الدالة الصوتية والبنيات التركيبية.

استلهم العرب مفهوم التشاكل من التنظيرات الغربية، الأمر الذي جعلهم لا يخرجون عن التصورات الغربية إلا في بعض محاولات التي قام بها محمد مفتاح وصاغ مفهوما جديدا له. كون التشاكل هو من يمثل الآلية التي يجعل بها فهم النص المقروء موحداً، هذا وقد تطرق عبد الملك مرتاض لهذا المصطلح كونه هو المسؤول عن انسجام الخطاب وبالتالي تحقيق الدلالة، أو لخدمتها (الدلالة).

– المشاكلة في الدرس البلاغي تتدرج ضمن المحسنات المعنوية وتدخل في باب المجاز والطباق، وإذا رجعنا إلى هذا التراث البلاغي القديم لا نلغي دور البلاغيين العرب في الإشارة إلى التشاكل ومحاولتهم الإلمام به ، وقد عرف عندهم بمصطلحات المشاكلة والمقابلة والتجنيس والتكرار ....، إلا أنهم حاموا حوله ولم يصلوا إلى ما وصل إليه هذا المفهوم عند الغربيين وخاصة في نهاية القرن 20 الذي ازدهر في هذا المصطلح على يد العالم الفرنسي " قريماس " الذي نقله من علم الفيزياء والكيمياء إلى المجال الأدبي.

– أزمة المصطلح متمثلة في إشكالية الترجمة والتعريب التي تظهر التشاكل، التناظر...

للتشاكل أنواع:

❖ التشاكل التعبيري: يكون في الصوت (التكرار، النبر) وفي الكلمة المكررة (في الجناس واختلاف المعنى) وفي التراكيب النحوية والبلاغة : التقديم والتأخير والبلاغة: الاستعارة، المجاز.

❖ التشاكل المعنوي: يكون في اللفظ والمحمول(الدلالة) .

❖ التشاكل الإيقاعي: الكلمة (الإشتاق، الإبدال) الصوت.

- صعوبة الفصل بين التشاكل وبعض المفاهيم المرفقة له: التلاؤم، التكرار، التماثل.
- التباين مفهوم سيميائي يقوم على إدراك العلاقة الدلالية بين الموضوع والمحمول.
- لم ينل التباين الحظوة من التنظير، بالرغم من مصاحبته للتشاكل.
- تجليات التباين على المستوى التعبيري و المضموني والمستوى الإيقاعي.

قد أبدع الشاعر السوري " نزار قباني" في تضمين ديوانه " قصائد متوحشة " لهذه الدراسة السيميائية، التي تتمتع بخصوصية ذاتية ولا سيما في شكل قصائده التي لم تنظم بالطريقة التقليدية المعتادة وإنما امتازت بتنوع الأساليب ، وكان لأسلوب " التشاكل " الذي هو عبارة عن تكرار سلسلة تركيبية بغية انسجام الخطاب.

- أجاد نزار قباني في جميع أنواع التكرار على مختلف المستويات الحرف ، الكلمة ، المقطع ، البداية، النهاية واستطاع بواسطة هذه المستويات أن يضيف إلى لغته الشعرية رقياً ينم عن وعي الشاعر بصنعته الفنية ، وتمكنه من مادته اللغوية، فكانت وسيلته الفعالة للإيصال والتبليغ بين المبدع والمتلقي هي المستويات.
- اعتماد الشاعر على تشاكل الصوت ، اللفظة ، أو العبارة .... التي تتوسم بعض قصائده من ديوانه " قصائد متوحشة " سواء في البداية أو الوسط أو النهاية ، بمعنى أن هذه الحركة تعلو بالتكرار ثم تهبط وبأساليب مختلفة بغية الكشف عن دلالته النفسية وعن تجربته الذاتية وعواطفه.

- قدرة الشاعر على مسايرة عصره بكل تطوراته التي تظهر من خلال تجليات التشاكل والتباين ، فقد أبدع في تضمين ديوانه " قصائد متوحشة " لهذه الدراسة التي تدل على اتساق وانسجام الخطاب الشعري وكذا التنوع اللغوي الذي يعتمد على التكرار ، بالإضافة إلى التباين الذي يساهم في تقوية الدلالة، فقد كشف هذان المصطلحان السيميائيان – التشاكل والتباين – من خلال دراستنا للتشاكلات التي وردت في ديوانه " قصائد متوحشة " بغية الخروج بمفهوم " نزاري " للتكرار .
- أضفت هذه التكرارات على شعر " نزار " نغمة موسيقية انعكست على ديوانه شكلاً ومضموناً إيقاعيا.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

برواية وش عن نافع

أولا: المصادر:

1.ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان، المجلد 7، 1863.

2. القزويني أبو عبد الله بن زكريا بن محمد بن محمود ، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، د ط، 2000.

3. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا ج 1.

4. إبراهيم السمراني وآخرون، المعجم العربي لاروس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، د ط، 1989.

5. الزمخشري أبو القاسم جارستو محمود بن عمر، أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ج1، 1923.

6.الفيروز أبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: قاموس المحيط تحقيق: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 8، 2005

7. القيرواني ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط5، بيروت، 1972.

8.نزار قباني ، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني ، لبنان ، ج1، 1944.

ثانيا: المراجع: المراجع العربية

1. البعلبي أبو الفتح: المطلع على أبواب المقنع، تحقيق: محمد بشير الأدبي المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان، ج 1، 1981.

2. الخطابي أبو سليمان السبتي: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي دار الفكر، دمشق، ج 1، 1982.

3. السلجماسي أبو القاسم: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1980.

4. الموصلي أبو الفتح ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج 1، 1995.

5. المناوي محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ج 1.

6. المغربي ابن يعقوب: شرح مواهب الفتاح على أبواب المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط 1، ج 1.

7. الرازي عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ج 1، 1995.

8.الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ج1 ، 1923.

9. ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 5، بيروت، 1972.

10. بروين حبيب ، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1، 1999.

11. جمال بن دحمان: الاسناق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب والانسجام رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2011.

12. جميل حمداوي: السيميلوجيا بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق، عمان، ط 1، 2011.

13. حسن القرفي: حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشروق، بيروت، لبنان، (د ط)، 2001.

11. خيرة حمزة العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي دراسة، دار الحوار، سورية، ط 1، 1983.

12. سليم عبد الإله: بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2011.

13. عبد الملك مرتاض: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة « أين ليلاي » لمحمد العيد آل خليفة، دار المغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.

14. عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة: قصيدة القراءة تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994.

15. عبد الله محمد الغذامي: المشاكلة والإختلاف قراءة في النظرية النقدية العربية، وبحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط 1، 1994.

16. عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في السانيات العربية، المشاكلة والتنغيم رؤية تحليلية، دار ومكتبة الحامد، عمان، الأردن، 2003.

17. عبد الحميد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية التركيب، الدلالة، شركة نشر وتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط 1، 2002.

18. عبد الرحمان تبرماسين: البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2003.

19. فهد ناصر عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004.

20. محمد سعيدي: التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007.

21. محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ج 2، 1994.

22. محمد الداهي: سيميائية– السرد بحث الوجود السيميائي المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2009.

23. محمد لطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر، سراب للنشر، تونس، د ط، 1985.

24. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المغرب الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 3، 1992.

25. محمد مفتاح: التلقي والتأويل مقاربة نسقية، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط 1، 1994.

26. مولاي علي بوخادم: الدرس السيميائي المغاربي، دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي (عبد الملك مرتاض، محمد مفتاح) مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1980.

27. منير سلطان: الإيقاع الصوتي في شعر شوقي الفناني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2000.

28. منير سلطان: البديع في شعر شوقي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، (دط)، 2000.

29. وردية محمد سحادة ، تشاكل المعنى في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي ، دار عيداء للنشر والتوزيع ، عمان، ط1، 2012.

30. وليد محمد العناني: التباين وأثره في تشكيل النظرية اللغوية العربية، دار الجرير، عمان، الأردن، ط 1، 2009.

المراجع المترجمة:

1. جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، الدار البيضاء للعلوم ناشرون، الجزائر، ط 1، 2007.

القواميس والموسوعات:

1. أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، مج 3، 1979.

2. أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ط 2، 2000.

3. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، بيروت، لبنان، ط 1، 1985 م.

4. فيصل الأحمر: معجم السيميائي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، العاصمة، الجزائر، ط 1، 2010 م.

5. مسعود حيران: الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 7، 1992.

الدوريات والمجلات:

1. إبراهيم عبد النور: قراءة في كتاب نظرية القراءة، مخبر وحدة التموين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جهود عبد الملك مرتاض في تنظير القراءة ، مجلة قراءات، جامعة محمد خيضر بسكرة، عدد 2010.

2. صالح لحلوحي: التشاكل والتباين في شعر مصطفى الغامري، مجلة الأثر ع 17، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013 م.

3. محمد ديبح: ثنائية التشاكل والتقابل في الخطاب النقدي المغاربي الجديد، مجلة المخبر، ع 10، 2014.

4. مصطفى صالح علي: أسلوب التكرار في شعر نزار قباني، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، ع 3، 2010 م.

5. نسرين بن الشيخ: عبد الملك مرتاض: مصطلح التشاكل من خلال كتابه: شعرية القصيدة قصيدة القراءة، نظام الخطاب القرائي، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، مجلة مقاليد، ع 5، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 12 ديسمبر، 2013.

6. أحمد مداس: التشاكل والتباين في الخطاب الشعري، قراءة في الوضع التركيبي لقارئة الفنجان، الملتقى الوطني الرابع السيمياء والنص، جامعة محمد خيضر بسكرة، 29/28 ديسمبر 2006.

7. منصوري مصطفى: بنية التشاكل والتقابل في مقدمة معلقة عبيد بن الأبرص،الملتقى الوطني الثاني ، السيمياء والنص الأدبي ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 15–16 أفريل 2002.

8. وداد بن عافية: دلالية التشاكل في تنويعات استوائية لسعدي يوسف، الملتقى الوطني السادس ، السيمياء والنص الأدبي ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 18–19 –20 أفريل ، ص 274.

9. يوسف خليسي، مفاهيم التشاكل في السميائيات العربية المعاصرة isotopi ، الملتقى الوطني الرابع السيمياء والنص ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 29/28 ديسمبر 2006.

المواقع الإلكترونية:

– بن أبي الأصبع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر

www.al.mostafa.com. / 2016 / 01 / 03 / 13:02

– عبد الملك الجيباني: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة

– www.al.mostafa.com. / 2016 / 01 / 03 / 13:02

– محمد رشاد الحمزاوي:

http: // www.maghtess.com / arrifinu / 2015/ 10/ 31

http: // ar.m.wikipiedia.org / wiki // 19 :00 / 2016/ 03/ 04

فهرس الموضوعات

المحتويات ..... **الصفحة**
الإهداء.....
شكر وتقدير.....
مقدمة..... أ–د
الفصل الأول: التشاكل والتباين من المصطلح إلى إبراز المفاهيم..... 5
أولا: ماهية التشاكل..... 6
1. الحد اللغوي للتشاكل..... 6
1–1 في المعاجم القديمة..... 6
1–2 في المعاجم الحديثة..... 7
1 الحد الاصطلاحي للتشاكل..... 12
1–1 مفهوم التشاكل عند الغرب..... 13
1 أنواع التشاكل..... 25
1–1 مفهوم التشاكل عند العرب..... 25
1–2 التشاكل التعبيري..... 25
1–3 التشاكل المعنوي..... 25
1–4 التشاكل الإيقاعي..... 26
ثانيا: ماهية التباين..... 27
1 الحد اللغوي للتباين..... 27
2 الحد الاصطلاحي للتباين..... 28
3 تجليات التباين..... 31
الفصل الثاني: حضور التشاكل والتباين في ديوان قصائد متوحشة لنزار قباني 34
أولا : تجليات التشاكل وأبعاده السيميائية في ديوان قصائد متوحشة لنزار قباني 36
1– تشاكل الحرف (الصوت)..... 36

2- تشاكل الكلمة..... 40
3- تشاكل العبارة..... 43
4- تشاكل البدايات..... 45
5- تشاكل الخواتيم..... 51
ثانياً : تجليات التباين وأبعاده السيميائية في ديوان قصائد متوحشة لنزار قباني 54
1-على المستوى الشكلي والمضموني..... 54
2-على المستوى الإيقاعي..... 58
الخاتمة..... 62
قائمة المصادر والمراجع..... 66
فهرس الموضوعات..... 73
الملخص..... 76

الملخص :

يعد التشاكل والتباين مفهومان سيميائيان نقديان وهما أحد العناصر التي تقوم بتحليل الخطاب دلالة وصياغة ومقصدية ، لهما خيوط تترابط وتتواصل مع التراث النقدي وتتقاطع معه.

و موضوع دراستنا " التشاكل والتباين " في ديوان قصائد متوحشة لنزار قباني ، وهدفنا فيه إلى إبراز دور كل منهما ، في انسجام واتساق أجزاء الديوان الشعري ، وعلى هذا الأساس قسمنا هذا البحث إلى فصلين تسبقهما مقدمة، وقد تجلت تجليات التشاكل والتباين من خلال مستويات تحليل الخطاب وأضفت هذه التجليات نغمة موسيقية انعكست على ديوانه (نزار قباني)شكلاً ومضموناً ولاسيما إيقاعا وختمنا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتحصل عليها.

Résumé :

Isotopie et allotopie sont des concepts sémiologues critiques et sont les éléments qui font l'analyse de dixours significatif et formulation.

Ils ont des fils lies et comminicatifs avec la tradition critique et occupent avec lui.

Le theme de motre étude « isotopie et allotopie » dans la chambre divan des poemes souvages de nesare kabani, et motre but dans le c'est l'apporaitre de role de chacun dans la compétition et sur ce base on divise cette recherche a deux parties précédent a une introduction ; et explicite des explicites d'isotopie et allotopie a partir les niveaux d'analyse de dixours et cettes explicites ajoutent un ton musicale refletait sur son divan (nizare kabani) par une forme et un contenu (garanti) et principalement rythmique ; et on finit conclusion recherche par un conclusion assurait les principaux résultats qui les abtenir.